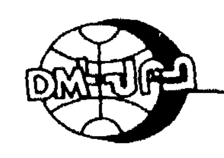

الحرس الحديدي
كيف كان الملك فاروق يتخلص من خصومه

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣م



الدار المصرية اللبنانية
طباعة • نشر • توزيع
١٦ شارع عبد الخالق ثروت – تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ – ٣٩٣٦٧٤٣ – فاكس ٣٩٠٩٦١٨ – برقياً دار شادو – ص ب ٢٠٢٢ – القاهرة
AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH
PRINTING — PUBLI SHING — DISTRIBUTION
16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX: 3909618 CABLE DARSHADO

سيّد جاد



كيف كان الملك فاروق يتخلص من خصومه

الناشر
الدار المصرية اللبنانية

تقديم

لكى يبقى « الحرس الحديدى » حديديا بحق .. كان لابد أن يحاط بالسرية التامة ، فلم يكن أحد يعلم عن هذا التنظيم اللغز شيئاً حتى تحدث « سيد جاد » أشهر أعضائه وأكثرهم معرفة بأسراره .. فانفتحت المغاليق .. وانصهر « الحديد » والقضبان .. واندا حت الأسرار .. فإذا بنا أمام عالم من الحكايات العجيبة والمعلومات المدهشة ، والعلاقات المريبة. التى لولاها لما عرفنا حلاً لكثير من الألغاز فى المرحلة التى كانت مصر فيها حبلى بالثورة وتعانى آلام مخاضها العسر .

لقد كانت مصر فى تلك الفترة مليئة بالتنظيمات السرية التى ولدت وعاشت تحت الأرض . ولكن أكثرها سرية وغموضاً كان ذلك التنظيم العسكرى الذى أنشأه الملك فاروق شخصياً . ليواجه به التنظيمات السرية المعادية لنظامه الملكى . وإذا كان قد اختار له اسم « الحرس الحديدى » فذلك كان تعبيراً عن رغبة ملكية فى أن يظل التنظيم حديدياً حين يواجه أعداءه .. وصلباً حين يواجهه أعداؤه .

ولكى ينجح « الحرس الحديدى » فى مهمته التى أوكلها إليه ملك البلاد وهى التخلص من الخصوم والأعداء « الخصوصيين » فقد اختير أعضاؤه من الضباط فقط . ولكن الأكثر ولاء « لملك البلاد المفدى » والأكثر حرصاً على كسب رضاه الملكى ، وكان « سيد جاد » واحداً أو المفروض أنه كان واحداً من هؤلاء الضباط الذين وقع عليهم الاختيار ليفتدوا الملك بروحهم ودمهم إذا لزم الأمر . ولكن « سيد جاد » وعدد آخر من زملائه الضباط من أعضاء التنظيم الملكى . لم يمنحوا الملك فاروق سوى نصف ولائهم فقط أما النصف الآخر فقد منحوه لتنظيم سرى آخر كان شديد العداء للملك ، بل إنه التنظيم الوحيد الذى نجح فى التخلص منه أخيراً .. وهو تنظيم الضباط الأحرار .

لم يكن « سيد جاد » هو الضابط الوحيد الذى منح ولاءه المزدوج لكلا التنظيمين معاً ، فقد كان هناك حسن التهامى وخالد فوزى وأنور السادات .

ولكن لماذا انضم هؤلاء لتنظيم يدافع عن الملك .. وآخر يهاجمه ويسعى للتخلص منه؟

ولأى من التنظيمين كان ولاؤهم الحقيقى ؟ وكيف كانوا يتصرفون للموازنة بين الولاءين ؟ .. وما هى العمليات التى نفذوها لحساب التنظيم الموالى للملك وتلك التى نفذوها لحساب التنظيم المعادى له .

هذه الأسئلة وغيرها كثير من الأسئلة الهامة . لم يكن أحد من الناس يعلم لها إجابة محددة . حتى جاء « سيد جاد » . ليفك الحديد ويصهره ، ليضعنا أمام عالم من المعلومات كان ينقصنا لمعرفة التاريخ الحقيقى لمصر فى تلك المرحلة الخطيرة التى عاشتها من العصر الحديث . والتى لولاها لبقينا أمام ألغاز وأسرار لا نعرف كيف نتصرف حيالها وصولاً إلى الحقيقة التى لا يعرفها أحد غيره .

وما نقرأه هنا هو شهادة لوجه الله .. والوطن .

« الناشر »

مقدمة

● آخر ضباط الحرس الحديدى :

ولدت فى ١٥/ ٤/ ١٩١٦ .. لعائلة من الفلاحين بالجيزة تنتمى إلى عرب « العبابدة» .. كان شقيقى يعمل فى سلك البوليس وقد رقى به حتى وصل إلى رتبة « اللواء » .. وبعد حصولى على شهادة « البكالوريا » ـ القسم العلمى ـ من مدرسة الخديو إسماعيل الثانوية.. عرض علىّ والدى ـ وكان من ذوى الأملاك ـ رغبته فى الالتحاق بمدرسة البوليس ـ كلية الشرطة الآن ـ لكننى رفضت تماماً ،.. وصممت على الالتحاق بالكلية الحربية .. وأمام إصرار والدى على تحقيق رغبته تركت منزل العائلة .. إلى مدينة السويس للعمل فى صيد السمك على أحد المراكب .. وبعد شهور فوجئت بحضور والدتى إلى السويس تخبرنى بموافقة والدى على التقدم ضمن الدفعة الجديدة من الطلبة التى أعلنت عنها الكلية الحربية .

وبسهولة تمكنت من اجتياز جميع الاختبارات وأصبحت طالباً بالحربية .

وبعد التخرج .. التحقت بقوات « خفر السواحل » لأن الانجليز طلبوا أن يتولاها ضابط من خريجى الكلية الحربية ، إثر تهديد الألمان باحتلال مصر أثناء الحرب العالمية الثانية .

وذات يوم .. طلبنى « حسن باشا عبد الوهاب » مدير عام السواحل . وسألنى عن نوعية العمل الذى كنت أقوم به قبل الالتحاق بالحربية .. وذلك بسبب « محضر » كان قد تحرر لى عن طريق « السواحل » فى فترة اشتغالى بالصيد .. وأخبرته بالقصة كلها .. فنقلنى إلى نقطة « القنطرة غرب » .

وعندما شك الإنجليز فى تعاطفى معهم .. عدت إلى صفوف الجيش بالكتيبة السادسة « بنادق مشاة » والتى كان جمال عبد الناصر رئيس أركانها للشئون الإدارية .. واستدعيت الكتيبة إلى فلسطين .. وهناك تمت ترقيتى ـ استثنائيا ـ بأمر الملك « فاروق » إلى رتبة

«اليوزباشى» مكافأة لى على أعمال البطولة التى قمت بها فى معركة «نيتساليم » المجيدة تحت وابل لاينقطع من رصاص الأعداء .. حتى أطلق على « صلاح سالم » لقب « مجنون الحرب » لشدة تعطشى للقتال المستمر .

● للتاريخ فقط :

لا أعتقد أنها محاولة لتمجيد الذات .. أو تعطش إلى بريق المجد .. فسنوات العمر قاربت على الانتهاء . ولم يبق سوى انتظار لحظة الرحيل .. لكنها كلمة حق ، وضوء كاشف حول موضوع لفه غموض الادعاءات وزيف الافتراءات .. فأبسط ما يمكن أن يوصف به « الحرس الحديدى » أنه لغز .. أعتقد أن كل ما كتب ـ أو يكتب ـ عنه قبل شهادتى هذه لايستحق أدنى اهتمام .. ليس هذا غروراً .. فلم يعد فى النفس منه شىء .. وإنما لأن «الحرس الحديدى » كان لعبتى أنا فقط .

لذا .. أقدم كلمتى للتاريخ .

● ملحوظة لابد منها :

لم أتقيد بتواريخ الأحداث بدقة .. لأننى لم أدونها فى حينها فى مذكرات .. بل لم أهتم ـ على الإطلاق ـ بتسجيل ما كان يحدث بسبب طبيعة الشباب الفوارة .. كما أن مضى أكثر من أربعين عاماً مليئة بالأحداث الجسام والوقائع الهائلة .. كفيل بأن ينسينى أشد الأمور أهمية وأبلغها خطورة .

لكن المهم ـ هنا ـ أن كل ما ذكر قد حدث .

سيد جاد
المحامى

الفصـــل الأول

عندما أبلغ الحرس الحديدى الشهيد

« حسن البنا » بمحاولة اغتياله !

لعب قانون الصدفة دوراً خطيراً فى تاريخ مصر .. عندما تقدم طبيب بحرى اسمه «يوسف رشاد» ومعه زوجته « ناهد » التى أصبحت أشهر « هانم » فى تاريخ مصر ـ وقتها ـ لاسعاف الملك « فاروق » عقب إصابته الخطرة فى حادث التصادم الغامض الذى وقع له عند بلدة « القصاصين » . فقد ظل الزوجان بجوار السرير الأبيض لعاهل البلاد حتى وصل كبار أطباء الجراحة والعظام فى مصر .

ومن يومها لم يفترق ثلاثتهم . وأصبح الطبيب غير المعروف « يوسف رشاد » الطبيب الخاص للملك .. أما زوجته « ناهد رشاد » فتولت منصب كبيرة الوصيفات بالقصر الملكى .

الأهم من ذلك .. أن حادث التصادم ـ الذى لم يكشف النقاب عن سره حتى الآن ـ غذى فى الملك الشاب الإحساس بالخطر على حياته . وخلقت هواجسه التى انتابته منذ ذلك الحين ، فرصة كبيرة انتهزها الطبيب المغمور المغامر « يوسف رشاد » ليحصل على الضوء الأخضر من الملك بتكوين أخطر تنظيم عسكرى عرفته مصر .. كان بداية النهاية للنظام الملكى فى مصر .. وأطاح بآخر ملوك أسرة « محمد على باشا » الكبير .

ـ ١ ـ

ارتطم بأذنى صوت انفجارات عنيفة تمزق هدوء إحدى ليالى حى « جاردن سيتى » .. وخرجت الجرائد فى الصباح تزيد ما جرى تهويلاً .. وكان على « مصطفى النحاس باشا » أن يحترس أكثر .. ويأخذ حذره بصورة أكبر .

لم أكترث بما حدث .. لأننى كنت ـ وقتها ـ أداة قتل ونسف على أرض فلسطين .. كنت

مشغولاً ـ حتى عنقى ـ باليهود ومحاولة حماية التراب الفلسطينى من الوقوع تحت براثنهم .. لكن سيدة بالغة الجمال والجاذبية شدتنى إلى ما يجرى داخل العاصمة .. على بعد مئات الأميال .. ونحن نجلس فى مستشفى غزة العسكرى نتجاذب أطراف الحديث .. وعندما تطرق الكلام إلى ما حدث فى « جاردن سيتى » .. نسيت نفسى تماماً ، وبروح المقاتل المحترف أخذت أفند عملية الاغتيال التى تعرض لها « النحاس باشا » .. وشرحت كيف يمكن عمل شىء آخر مختلف لتتم عملية القتل بنجاح تام .. وساد صمت ثقيل قطعته السيدة الجميلة ـ التى لم أعرها اهتماماً أثناء الحديث ـ بسؤالى عن إمكانات نجاحى فى هذه العملية فى نفس الظروف ؟ وبحماس الشباب صحت على الفور : إن من قاموا بالعملية قتلة بدائيون لا يعرفون سوى عمليات محددة .

وأعادت الحسناء سؤالها بصيغة أخرى عما كان يمكن أن يحدث لو كنت أنا الذى أتولى أمر هذه العملية ؟ ورددت عليها بصوت بارد : كان الباشا قتل وتغير وجه التاريخ .

وتساءلت الحسناء المثيرة ـ بتؤدة محببة للنفس ـ عن كيفية حدوث ذلك ؟ ولم أجد أمامى غير أن أخرج ورقة وقلماً ، ورحت أرسم لها ما كان يجب أن يتم .. وضحك جميع الموجودين إلا تلك السيدة الجميلة الغامضة .

وعدت من جديد لأغرق فى تيار الحرب .. وكان إدراكى وإيمانى بقدرتنا على الوصول إلى « تل أبيب » مؤكدين .. بل إن عدداً من ضباط الجيش البريطانى ساعدنى على تحقيق ذلك .. لكن بعض العرب ـ فى مراكز المسئولية ـ لم يكونوا يريدون هذا .. من هؤلاء «الملك عبد الله » بشرق الأردن ، وبعض شخصيات مصرية كبيرة .. أذكر منهم «عبدالفتاح عمرو باشا » .

وبدأت مهزلة الهدنة ـ أو بالأدق مؤامرة الهدنة ـ الشهيرة التى أتاحت لليهود فرصة الاستعداد بشكل أكثر .. وأخذت الروح القتالية التى كانت تملأ شباب العرب ، تتوارى يوماً بعد يوم .

وبينما أنا أسقط فى بحر من الملل العميق .. وأنهى دراستى فى كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول ـ القاهرة الآن ـ فوجئت بمن يخبرنى بأننى سأعود إلى القاهرة لغرض آخر أقوى من الحرب !

- ٢ -

قبل أن أخوض فى تفاصيل رحلتى الطويلة مع « الحرس الحديدى » يجب أو أوضح أولاً أنه كانت هناك مجموعة من المأجورين مهمتهم القتل لمجرد القتل والتقرب إلى الذات الملكية ويوسف رشاد وناهد رشاد .. ورغم أن هؤلاء المأجورين لم يكونوا غير شباب يملكون قدراً كبيراً من الجرأة .. إلا أنهم لم يكونوا ـ أيضاً « زناد » يطلق لإرضاء الملك .

أما الملك ـ نفسه ـ فلم يكن غير شاب أخضر العود لم يكتمل تكوينه ـ بعد ـ كولى للعهد ، ثم طرح به فى مستنقع السياسة الانجليزية القذر . وتمكن أناس ـ أمثال عمر فتحى ويوسف رشاد وناهد رشاد وعمرو باشا سفير مصر فى لندن ـ من السيطرة عليه .. فاندفع بجهالة وهو يظن أن هذا أنفع للوطن .. ليصنع مذبحة جديدة على غرار مذبحة القلعة التى نصبها جده « محمد على » للمماليك .. وكانت تحاك حول الملك الخطط والدسائس لإغراقه فى ملذات النساء الجميلات وموائد القمار . وطوال فترة توليه العرش .. لم تتح له الفرصة ـ ولو مرة واحدة ـ لأن يتقن مهام وظيفته الملكية .

وأوصلتنى إحدى السيدات إلى هذه الشرذمة التى تستأجر لقتل بعض الأشخاص وعلى رأسهم « النحاس باشا » ومن يلوذ به . ولم يكن المسيطرون على هؤلاء المأجورين يطلبون منهم شيئاً سوى القتل . وبالتالى فقد كان التفكير والنقاش فيما يجرى محرمين تماماً .. لكنهم نسوا أننا أبناء أسر كبيرة ولسنا مجرد قتلة مأجورين .. وطلبنا أن نكون على صلة مباشرة بالملك .. ولكن الوسيط بيننا وبين القصر لم يكن يريد لهذه الصلة أن تنشأ أبداً .. لأن وجودها يعنى انتهاء منفعته .. فعمل كل جهده على إبعادنا عن الملك وإبعاد الملك عنا .

كان هدفى الإصلاح الشامل عن طريق « الحرس الحديدى » .. لكننى أخطأت الطريق فكشفونى فور أن طلبت مقابلة الملك . لقد عرفوا حقيقة نشاطى وماذا أبغى من هذه المقابلة .. وأصبحت مبادرتى نكتة يتناقلها ضباط الحرس الحديدى .

واتصلت بى تليفونياً سيدة معينة تهتم بى بعض الشىء وطلبت منى أن أتجاهل ما يحدث لأن الجميع تحركوا ضدى .. فبدأت أنهمك فى سلسلة طويلة وعريضة من العلاقات النسائية .

وذات يوم حضرت « طابور الصباح » ولم أتمكن من تغيير القميص « الكاكى » الذى كنت أرتديه بالأمس .. ولمح أحد الضباط آثار وجود « أحمر شفاه » على القميص .. وكان ملاكماً قوياً .. وتكلم معى بصوت عال فلفت نظر بعض زملائه الحاضرين فأخذوا ينظرون إلى آثار « الروج » الحريمى .. وكانت مشاجرة انتهت بنا إلى حلقة الملاكمة .. وأثناء تشجيع بعض الزملاء لى صدرت منهم كلمات رنت فى أذنى : « شد حيلك يا سيد ياجاد.. شد حيلك يا حرس .. يا حديد ! » .

وقد كنت حديدياً ـ بالفعل ـ فقد تمكنت من الفوز على الضابط الملاكم بالضربة القاضية ، وخرجت من هذه المعركة منتصراً وبهذه العبارات الجديدة .. ورحت أديرها فى رأسى ثم حورتها لتكوين « الحرس الحديدى » .. وأخطرت زملائى من المحيطين بالملك بأنه لابد من تحويل هذه الشرذمة من القتلة إلى حرس حديدى .

ووافقوا .. لكنهم لم يكونوا صادقى النية .

وذاع الإسم فى الجيش كله .

ـ ٣ ـ

وعلى طريقة المسرحيات فى تقديم شخصيات أبطالها .. أقدم الشخصيات التى لعبت دوراً هاماً فى حياة « الحرس الحديدى » .

* **عبد الرءوف نور الدين** : قابلته فى الكلية الحربية وكان « الأومباشى » على عنبرى فى «كنجى بلك » وحين أصبح « يوزباشياً » ـ أى نقيبا ـ كنت أنا ملازماً أول .. وكان ـ يرحمه الله ـ شاباً شديد الاندفاع وبطلاً فى الملاكمة .. وهو نموذج للمقاتل الطيب القلب .

* **يوسف حبيب** : أحد من درّسوا لى فى الكلية الحربية .. كان أشجعنا جميعاً .. بل أشجع ضابط فى الجيش المصرى كله .. لكنه للأسف وقع تحت عدة تأثيرات جعلته يندفع مع « يوسف رشاد » فقط متناسياً أصدقاءه .

* **خالد فوزى** كان أخوه الضابط صديقاً ومات فى حادث .. فتآخينا لكنه كان هوائياً متقلب الشخصية .

* **مصطفى كمال صدقى** : شخصية غريبة الأطوار .. مازالت تحيرنى حتى الآن .. فهو يصلح ليكون ممثلاً سينمائياً أكثر منه ضابطاً مغامراً .. سيطرت على عقله فكرة أنه رجل التاريخ فبدأ يتأله دونما داع .

.. وكان يتصور أنه معبود النساء فامتلأ غروراً على الضباط إلى حد الانفجار .. مما دفع « عبد الرءوف نور الدين » إلى إطلاق الرصاص عليه فأصابه فى ساقه .. وعندما قبض عليه فى أوكار الشيوعية ادعى أقوالاً على « الحرس الحديدى » .

* **يوسف رشاد** : رجل مغامر لكنه لم يخلق للمغامرة .. طيب القلب .. يميل إلى الملك ويحب العنف لكن لا يمارسه . تغلب عدم الحنكة على الكثير من تصرفاته .

* **ناهد رشاد** : كانت ملكة مصر الحقيقية لفترة من الزمن ليست قصيرة .. كان خلالها الملك « فاروق » كخاتم فى إصبعها .. لايعصى لها أمراً ، وينفذ كل طلباتها .. كانت سيدة عظيمة شديدة الذكاء .. والغريب أنها كانت ـ أيضاً ـ شديدة الوطنية . وللأسف لم تتح لى فرصة مصادقتها إلا فى النهاية .. بعد أن انتهى كل شىء .

* **مرتضى المراغى** : وزير الداخلية . رجل انتهازى لا صديق له إلا نفسه .

* **حسن فهمى عبد المجيد** : معتدل فى كل شىء حتى فى القتل .

* **عبد الله صادق** : ضابط شرطة سابق . كان همزة الوصل بين ضباط الحرس الحديدى والدكتور يوسف رشاد .

* **بهجت بك** : سفير مصر فى ليبيا . كان يتاجر فى المسدسات . وقد أثرى من هذه التجارة .. وحملنى ـ شخصياً ـ عدة أنواع من المسدسات عرضتها على « يوسف رشاد » ليشترى منها ما يريد .

ـ ٤ ـ

كانت الناحية العملية متوافرة لتكوين حرس خاص .. أو جمعية معينة حول الملك .. ولكن دون قسم أو عهد أو حتى هدف .. فحماية حياة الملك لم تكن هدفاً كافياً . فلم يكن هناك أى خطر يتهدده إلا من ناحية الانجليز فقط ..

وبدأت أفكر فى هذا التجمع وكيف يمكن أن يكون ذا أثر حقيقى فى الدولة .. فالهدف لابد أن يكون حماية الدولة والوطن قبل الملك .. هذه الحماية لاتكون إلا بعمل نوافق عليه جميعاً وليس مجرد تنفيذ لعدة أوامر قد يكون الهدف منها تصفية حسابات شخصية فقط .. لذا طلبت وتمت الموافقة على ما طلبت .

وما طلبته يتخلص فى أنه فى حالة صدور الأمر بقتل شخص ما .. فعلى أفراد الحرس الحديدى الاجتماع ـ كهيئة محكمة ـ ويقدم الشخص المطلوب قتله لهذه المحكمة .. ويتولى أحدنا الدفاع عنه .. ولاينفذ فيه حكم الإعدام إلا بموافقة القضاة الثلاثة .. وإلا فلا قتل ـ إطلاقاً ـ مهما كانت المعنويات .

وتم تنفيذ هذه المحاكمة بالفعل عندما طلب منا قتل الشهيد الإمام « حسن البنا » رئيس جمعية الاخوان المسلمين .. ورفضنا جميعاً .. وكانت النتيجة أن قام بهذا العمل جهاز مماثل من البوليس على رأسه « الاميرالاى عبد المجيد » واثنان من المخبرين .

وقد أردنا من تنظيم الحرس الحديدى أن يكون مبنياً على حقائق .. بحيث إذا لم يقم الضابط بالعمل المطلوب منه يقتل نفسه أو نقتله نحن .. فقد أصبحت أسرار الدولة ـ بقضها وقضيضها ـ بين أيدينا .. .

وبدأت الصحف تكتب عن « العربة السوداء » التى تحكم مصر .. ومن يخرج عن الصف سعياً لاكتساب مودة الانجليز تكون «العربة السوداء » فى انتظاره ـ ليلاً ـ فيسرع بالعودة مرة أخرى وأخيرة .

بعد انضمامى لهذه الجمعية قل إنتاجها .. وأصبحت أكثر تنظيماً وابتعاداً عن الفوضى التى كانت تلفها .. بل أصبحنا نحترم بعضنا البعض .. لكن شذ عنا « عبد الرءوف نور الدين » وأراد أن يمتلك ناصية « يوسف رشاد » .

كانت كل عملية من العمليات التى نقوم بها قائمة بذاتها .. ولها اسم « كودى » خاص.. لأنها كانت أشبه بعملية حربية تبدأ بتحضير « عبد الله صادق » للسيارة السوداء.. بما فيها من مدافع .. ثم يدخل الضباط العربة ويتسلم كل منهم مدفع

«الاشميزر » الألمانى وخمسمائة طلقة .. ويصدر أمر من وزير الداخلية لجميع نقاط المرور بعدم معارضة هذه العربة اطلاقاً مهما فعلت أو وقع منها !

وبدأت « قائمة الخضار » ـ كما كانوا يسمونها ـ تأتينا أولاً بأول بأسماء من تريد السراى تصفيتهم جسدياً .. والحقيقة أننا لم نر أو نسمع الملك ـ شخصياً ـ يصدر أمراً بمثل هذا ، لكن الحقيقة ـ أيضاً ـ أنه كان هناك أشخاص يرتمون على أقدام الملك للاستفادة منه مادياً ومعنوياً . هؤلاء كانوا يخبرونه بأحداث لم تقع ثم يثيرون تخوفه من بعض الأشخاص ويتطوع آخرون بقتلهم .

وكان من أعضاء الفريق الأول الذى يدس على الناس عند الملك مرتضى المراغى وعمر فتحى باشا وعبد الله صادق ضابط البوليس العجوز وعبد الفتاح عمرو باشا ومصطفى كمال صدقى .. كل فى موقعه وبالطريقة التى يمكن بها أن يؤثر فى الملك .. كان مرتضى المراغى ـ مثلاً ـ يستغل تواجد الملك فى نادى السيارات فيملأ صدره ضد أعدائه الشخصيين . وكان عمر فتحى باشا يستغل والدة الملك وحوادثها الشهيرة التى لا تنتهى . وعمرو باشا كان يحضر من آن لآخر من لندن .. أما عبد الله صادق فإن كل ما يهمه هو المادة .. لذا كان يقدم للملك ـ فى كل مرة ـ حكاية يحصل منها على ما يريد ، فهو مرة يزعم أنه سمع عبد القادر طـه يتوعد الملك . ومرة أخرى على حسنين يخطط لقتل صاحب الجلالة .. وهكذا .

وبأسلوب الدس والوقيعة هذا قتل أبرياء كثيرون .. وزادت مكاسب كثيرين ونفوذهم على الملك الخامل الذى تحول إلى شخص مذعور يتوقع الموت فى كل لحظة . وفى الوقت المناسب يتقدم المنقذ الدكتور « يوسف رشاد » بصفته حارس الملك وحامى حياة صاحب الجلالة للتصفية الجسدية بالتعاون مع رجاله .

وعندما حضرت رأيت أن الحالة تسير بهذا الشكل تجاه مذبحة فعلية ليكسب بعض الناس ود الملك ويزداد نفوذهم بالسيطرة عليه .. بينما كانت لى آمال واسعة فى أن يعيد الملك نظام الخلافة الإسلامية والحكم بالقرآن وتطبيق سياسة « اليونجرز » *.

---

* اليونجرز : نظام قام به « فريدريك » امبراطور ألمانيا .. ويعتمد على الأسر العسكرية والحصون المدنية التى يتوارثها ضباط المعاشات وعساكر الاحتياط .. وكنت أريد أن يطبق فى سيناء والصحراء الغربية .

ولم يعد موقفى جامداً بالنسبة لمن يطلب قتلهم .. بل وجهت عدة تحذيرات لبعضهم . فذهبت إلى « حسن البنا » وكان أخوه « محمد » حاضراً هذه المقابلة وعن طريق الاتصال التليفونى به شخصياً وعن طريق زبيدة إحدى الأخوات المسلمات أخطرته بما يدبر له .. وقابلت اللواء « محمد نجيب » وأخبرته ـ أيضاً ـ بأن اسمه ورد ضمن القائمة .. وعليه أن يسرع فى صباح اليوم التالى بتقديم الولاء للملك عن طريق « يوسف رشاد » .. وغيرهما ، وغيرهما كثيرون .. فقد كنت وسيلة للرحمة إذا هموا بقتل أحد الوطنيين .

وقد أخطرت « خالد محيى الدين » بذلك عندما سألنى ـ مرة ـ عما أقوم به عند الملك .

أما إذا أظهر أحد الخونة روحاً للخيانة ضد مصر فكنت أحمل مدفعى الرشاش سعيداً بالمهمة .

وكثيراً ما كنت أسخر من مجهودات عكسية تجرى خلف ظهرى للاستفادة المادية وإخفاء بعض الأمور عنى .. حتى إنهم حاولوا قتلى لكنهم كانوا أضعف منى بكثير !

الفصل الثانى

الحرس الحديدى يطلق الرصاص على الملك
فيأمر باغتيال النحاس !

- ١ -

.. وجاء لقائى بالخصم الحقيقى لمصر ـ الانجليز ـ مصادفة لم أسع إليها ..

ذات يوم كنت أسبح فى نادى المعادى وتعرفت بإحدى الفتيات الأجنبيات المقيمات فى مصر .. وطلبت منى أن أريها الريف المصرى ما دمت أمتلك « عزبة » قريبة من القاهرة .. وتواعدنا على يوم معين .. وانتظرتها دون جدوى . وكنت فى هذه الفترة .. على جانب كبير من الفتوة والوسامة ..

وبعد قرابة عشرة أيام جمعنى بها لقاء فلم أعرها اهتماماً .. ولكنها اقتربت منى وأبدت أسفها لعدم حضورها فى الميعاد المتفق عليه .. فكان ردى أن « الموضوع بسيط وعلاقتنا عابرة لا تحتاج إلى اعتذارات » .. لكنها عادت لتلفت نظرى إلى رجل انجليزى يسبح بالقرب منا .. ويتعمد عدم النظر إلينا .. فسألتها عنه بلا اكتراث .. فقالت انه حذرها من الذهاب بمفردها معى .. وهو يعمل مدرساً فى الجامعة الأمريكية ويحمل الجنسية الانجليزية .. وطلبت منى ألا أتحدث معه .. ورغم دهشتى لطلبها إلا أنى أذعنت لرغبتها .

لكن الدهشة تلاشت بعد عدة سنوات .. عندما سألنى « وكيل النيابة » فى تحقيقات الحرس الحديدى والقضايا المتعلقة به فى عام ١٩٥٣ .. من أن المخابرات الانجليزية تقول إن خلف العرش المصرى ضابطاً طويلاً أسمر يقود كل هذه القضايا .

فكان ردى عليه أن لى الشرف فى أن يتهمنى الانجليز فهم الأعداء الحقيقيون للوطن .. أما حكاية « الطويل الأسمر » فأغلب ضباط الحرس طوال القامة وسمر البشرة .

وقلت : ان الحرس الحديدى ـ بعدما انضممت إليه ـ لم يرتكب جريمة واحدة إطلاقاً .. بل على العكس .. فقد وجه إحدى طلقاته إلى الملك نفسه لإرهابه ، عندما قبل لقب «جنرال فخرى » فى الجيش الانجليزى ، والذين يعرفون هذا ثلاثة أشخاص فقط مازالوا على قيد الحياة حتى الآن !

ذات يوم .. جمعنا الدكتور « يوسف رشاد » وطلب منا إخفاء الأسلحة ، وكلف « حسن فهمى عبد الحميد » بهذا العمل .. لكن « حسن » قام بإلقائها فى إحدى الترع ليلاً بدلاً من إخفائها .. وأردت أنا و«خالد فوزى » أن نستولى عليها بعد أن عرفنا بمكانها من «حسن فهمى » .. وفى منتصف الليل خلعت ملابسى ونزلت الترعة أبحث عنها وتمكنت ـ بالفعل ـ من العثور على بعض القطع دون أن أجد الباقى .

وحملنا القطع التى عثرت عليها إلى الدكتور « يوسف رشاد » وشرحنا له الأمر لكنه سكت ولم يعلق .. فاستشرنا « ناهد رشاد » فأخبرتنا بأن الملك غير راض عن الحرس الحديدى ، ولم تعد لديه الثقة الكافية فيه . وأنه ـ أى الملك ـ سينضم للانجليز ويتحالف معهم !

واجتمع الحرس فى منزل « حسن فهمى عبد الحميد » .. وقررنا إرهاب الملك فاروق .. وبدأت أدرس عاداته .. وكان بعد تناول العشاء يخرج إلى « الفراندة » ليجلس منفرداً .. وأحياناً كان يتطلع إلى الحديقة من النافذة .. وكانت هذه هى الفرصة الوحيدة أمامنا للنيل منه .

ومن أعلى منزل يطل على القصر ، وبواسطة منظار ميدانى ، أطلق حسن فهمى عبد الحميد دفعة من النيران لكنها لم تصبه .. وأصيب الملك بنوع من الجنون واعتقد أن «الوفد» يرد عليه بهذا النوع من التصفية الجسدية .. وكانت النتيجة استبعاد « مرتضى المراغى » قليلاً .. لكنه شعر بما كان سيقوم به من خيانة للوطن .. فعاد إلى الصف تائباً نادماً .. وطالب بالرد على « الوفد » فى شخص « النحاس باشا » ثانية .. انتقاماً لما قام به ضده .

وصل اسم الزعيم ضمن القائمة التى يطلبها الملك كالمعتاد .. وبدأت المحكمة الخاصة بالحرس الحديدى تنظر أمره .. وتضاربت آراء أعضاء الحرس .. بعضهم يطلب

تصفيته ، والبعض الآخر ينادى ببراءته .. وظهر التناقض بيننا واضحاً .. ونفذت العملية بمنتهى السخف وبالتالى لم تصب أى شيء لأن النية كانت متجهة ـ أصلاً ـ لعدم التنفيذ.

فى اليوم المحدد وقفت « العربة السوداء » بمنتهى البلاهة أمام قصر الزعيم بجاردن سيتى .. ولم تطلق النار على الزعيم بالمرة .. ولولا اندفاع حرسه لمهاجمة العربة لما أصيب أحد .. ولكن أفراد الحرس ـ وأغلبهم مدنيون ـ اندفعوا بشجاعة يحاولون الإمساك بالعربة ومن فيها .. مما دفع ببعض الموجودين من أفراد الحرس الحديدى إلى إطلاق المدافع على الحرس الغبى الذى ألقى بنفسه فوق العربة كنوع من الدفاع . ولو كانت النية متجهة لقتل الزعيم لما أبقى عليه لحظة .. فلم تكن المسافة بينه وبين « العربة السوداء » تزيد على أربعين متراً وكان من اليسير ـ تماماً ـ إصابته فى مقتل .

وأؤكد أن النية لم تتجه إطلاقاً ـ لقتل الزعيم .. وإنما كانت مجرد « تهويش » لكيلا يحاول « ضرب الملك مرة ثانية !!» .

وقد أدى فرط شجاعة الحرس الخاص بالزعيم إلى إطلاق النيران على العربة للدفاع الشرعى .. فبمجرد أن رأوا « عربة سوداء » تقترب من القصر حتى هاجموها على الفور وأطلقوا النار عليها وعلى من فيها .. لكن العربة كانت مصنوعة بطريقة تجعلها لا تتأثر بأى طلقات إلا النوع الضخم منها .. لذلك لم تصل طلقات حرس الزعيم إلى من بداخلها.. بينما أطلق « عبد الرءوف نور الدين » دفعتين من المدفع الرشاش عليهم بمنتهى البساطة .. ثم قنبلة لتغطية الانسحاب .

عملية بسيطة غير موفقة تظهر طبيعة دور الحرس الحديدى .. فلو كان هناك إجماع على قتل الزعيم لما أفلت نهائياً .. من هنا تضاربت أقوال الصحف ـ وقتها ـ ولم يعرف أحد ـ حتى الآن ـ لماذا لم نضرب الزعيم « مصطفى النحاس » وقتذاك ؟!

وهكذا بدت عملية اغتيال الزعيم كمسرحية قام بها أفراد الحرس الحديدى . حتى لايظن الملك ـ ومن هم وراءه أو أمامه ـ بالحرس الحديدى أى ظنون .. لكن هذا الحادث أدى إلى انشقاق الحرس الحديدى إلى فريقين .. أحدهما يؤيد القتل لمجرد تنفيذ الأوامر ،

ويسير وراء رغبات الملك و « يوسف رشاد » . والفريق الآخر يرى ضرورة المحاكمة وتحقيق هدف وطنى من وراء القتل .. مهما كانت أوامر الملك !

وبدأ الانشقاق يتسع بين ضباط الحرس الحديدى حتى وصل إلى درجة كبيرة عندما جاء ضمن القائمة اسم « محمد نجيب » .. وكان له معى دور وطنى فى ميدان القتال بفلسطين .. عندما تقدم اليوزباشى « فؤاد كرارة » بتقرير ضدى يطلب فيه محاكمتى لأننى هاجمته ونحن فى دائرة نيران العدو .. وبعد أن بدأ التحقيق فعلاً فى اللحظة الأخيرة الاميرالاى « محمد نجيب » وألغى كل شىء .. بل طلب لى ترقية استثنائية لأنه كان يعرف أن هجومى على اليوزباشى « كرارة » لتحريك الدبابات كان لضرورة عسكرية محتمة .

تذكرت هذا الموقف وأنا أقرأ اسم « محمد نجيب » فى القائمة السوداء .. مما دفعنى إلى التدخل لصالحه ، وبعد جلسة المحاكمة صدرت الأوامر الداخلية للحرس الحديدى بأنه لا يمكن أن نقتل هذا الرجل .

وذهبت إليه أنا و«عبد الله صادق » بعد منتصف الليل ، وأيقظناه من النوم .. وطلبت منه أن يبادر بالذهاب إلى الملك ـ صباحاً ـ عن طريق الدكتور « يوسف رشاد » ليثبت ولاءه له .. ولأن الملك يشك فى إخلاصه .

وقد ذكرت « محمد نجيب » بهذه الواقعة بعد حدوث الانقلاب عندما زارنى فى معتقل الثانوية العسكرية ذات مساء .

ومن دلائل الانشقاق بين أفراد الحرس الحديدى .. حدوث عدة جرائم من الفريق الآخر دون محاكمة .. مما جعل كلا من الفريقين يشك فى الثانى بل ويتربص به .. فالفريق الأول يخضع خضوعاً أعمى ليوسف رشاد وبالتالى فهو مع الملك على طول الخط . ويمثله صديقى « يوسف حبيب » الذى كان يلتقى ـ سراً ـ مع « يوسف رشاد » و«عبد الله صادق» ولايبلغ الآخرين بهذه اللقاءات .. يشاركه فى هذا « حسن فهمى عبد المجيد» وبعض الأفراد الذين كانوا يفدون على الحرس ـ متطوعين ـ يطلبون الترقى والاتصال بالملك بأية وسيلة .

أما الفريق الآخر فقد كنت أحد أفراده ومعنا « خالد فوزى » ويرأسنا « عبد الرءوف نور

الدين » .. الذى قام ـ بنفسه ودون تفاهم مع أحد ـ بإلقاء قنبلتين على « عمرو باشا » فى منزله عندما حضر من « لندن » ليعلن شروط صداقة الانجليز للملك .

وبمرور الوقت ضعفت هذه الجماعة الصغيرة .. فقد كان لبريق السلطة والمال تأثير أكبر من بريق الوطنية والشرف .. وكان الدكتور « يوسف رشاد » حارس الخزانة يعطى لمن يشاء بلا رقيب أو حسيب .. وفى الوقت نفسه كان ممنوعاً ـ تماماً ـ الاتصال بالملك .. أما «عبد الله صادق » الذى كان يتولى التخطيط لهم .. فأقرب صفة تنطبق عليه أنه كان داهية لا يؤمن جانبه .. يستفيد من كل شىء بكل وسيلة دون أن يحمل نفسه أية مسئولية .. وقد صممت على محاربته لأنه سلك بعض الألاعيب معى .. لكن بعضهم أخطره بذلك .. فسارع إلى مقابلتى وقدم من فروض الطاعة والولاء ما أشعرنى بالخجل وجعلنى أتراجع عما فى نيتى .. أكثر من هذا أنه بدأ يتملقني فقدم لى هدية عبارة عن « مدفعين » فى منتهى القوة وجمال الصنع مع كل ذلك كان يغتابنى من خلف ظهرى مستغلاً علاقاتى النسائية المتعددة !

وحاولت من جانبى تصفية النفوس بين فريقنا والفريق الآخر .. فدعوت الجميع على العشاء فى « العزبة » مستغلاً مناسبة زواج ابن أخى « فهمى محمود جاد » .. وتم التصالح بين الجماعتين .. لكن النفوس ظلت تحمل الكثير من الضغائن !

وكانت قصة حب تفجر الخلافات بين الفريقين من جديد .. فقد أحب « مصطفى صدقى » إحدى سيدات الحرس الحديدى .. بينما كانت تحب ضابطاً من الفريق الآخر .. مما جعل « مصطفى » يبدو كالمجنون بسبب الغيرة .. وكثيراً ما فقد أعصابه وفكر فى أن يصفى منافسه جسدياً .. ولكنه لم ينفذ هذه الفكرة .

- ٣ -

كنت أريد أن أسمو بكيان الحرس الحديدى .. حتى يصبح مجرد إرسال بطاقة من أحد ضباطه إلى إحدى الضحايا كافياً لأن تعود الضحية إلى الخط الملكى دون أدنى تردد .. وإلا فمدافع « الاشميزر » موجودة .

وكنت أبغى تعميم فكرة التنظيم حتى يصبح للإسلام حرس حديدى ، وللعرب حرس حديدى .. وإذا خرج أحد من الرؤساء عن الصف الإسلامى أو الصف العربى .. اخترقت جثته رصاصات « الاشميزر » . ولكنهم كانوا ينظرون إلى على أننى شبه مجنون ويريدون تبسيط الأمور بقصد الاستفادة من الملك المغلوب على أمره .. ولم يفهمنى إلا اثنان : إحدى السيدات .. وكان هذا فى وقت متأخر .. وشخص آخر لم أكن أتصور أنه سيفهم بغيتى .. هو الملك « فاروق » نفسه .. فقد فهمنى جيداً حتى بعد أن لطخنى ضباط الحرس الحديدى أمامه وأساءوا إلى كثيراً ..

وبعد قيام حركة ٢٣ يوليو تغيرت شخصية الملك تماماً وأصبح على استعداد للرحيل وكان يبدى ذلك فى كل تصرفاته حتى انه قال كلمة صادقة جعلت البعض يسخر منه بعد ذلك :

« لا يوجد عرش فى العالم يستأهل أن يريق أحد دم أخيه من أجله .. إنى ذاهب » .

وكنت قد تصورت أن الصلح الذى تم فى « عزبتى » قد دفن الخلافات بين ضباط الحرس الحديدى .. لكن ذات يوم ، حضر إلى « خالد فوزى » وأبلغنى بأن الأمر بقتلى قد صدر من « مرتضى المراغى » والدكتور « يوسف رشاد » ..

وبدأت أفكر فى قتل رأس الحية التى قابلتها فى مستشفى غزة العسكرى ، والتى أصدرت قرارها بإعدامى وفى نفس اليوم اتصلت بى تليفونياً وتقابلنا سراً وعندما أدركت أننى أنوى قتلها لجأت إلى أسلوب الاستعطاف وإثارة الشفقة .. لكنى صممت على ما فى نيتى .

وتمكنت بسحرها وأنوثتها من التأثير على مشاعرى .. وأحسست بالضعف يسرى فى كيانى وبأننى غير قادر على تنفيذ ما قررته .. فتركتها ، وبكت بحرقة شديدة .. وقلت فى نفسى إنها ستظل ملكاً لى للأبد .. وسألتها عن سر كراهيتها لى .. فقالت إنها كانت شديدة الإعجاب بى عندما تقابلنا فى مستشفى غزة العسكرى .. ولكنهم دسوا على عندها ونسبوا إلى كلاماً وأفعالاً لم أرتكبها وشككوا فى إخلاصى وعندما تقابلت معها وجهاً لوجه تبينت صراحة مواجهتى وأننى لا ألجأ إلى الخبث والالتواء وأخبرتنى بأنها تصافت معى وفى

وقت لاحق أحضرت من الملك خمسمائة جنيه أثناء حرب الفدائيين .. وقدمت لى هدايا ثمينة متعددة .. وظلت علاقتنا مستمرة إلى أن تم اعتقالى وهددت بالاعدام .. واضطرت هى لأن تسافر هاربة إلى الخارج ومن يومها لا أعلم عنها شيئاً حتى الآن !

ـ ٤ ـ

ذات يوم .. ذهبت إلى باقى الجماعة وسألتهم لماذا ضربوا الوجيه الصعيدى « رفيق الطرزى » عضو الوفد و«على حسنين ؟ » .

وصارحتهم بأنهم لايقدمون على تنفيذ إلا كل ما هو تافه ولا يقومون بأى عمل ضد الملك والعطن والفساد . وجاء ردهم صريحاً للغاية : كيف يعيشون إذا انقطع عنهم المدد الذى يحصلون عليه من الملك ومن الدكتور « يوسف رشاد » ؟

وصحت فيهم : إنها « شحاذة » إذن وليست عملاً وطنياً ..

فأسمعونى كلمات نابية كادت تتسبب فى أن يرفع بعضنا السلاح ضد البعض الآخر..

ولم أجد أمامى غير أن أتسلح ـ حتى أسنانى ـ ثم أذهب لمقابلة « يوسف رشاد » .. كان شعوره غريباً تجاهى .. فهو مزيج من الحب والخشية والشكوك .. خلق لديه الرغبة فى التخلص منى .

وعندما واجهته بما يحدث راح يلقى التهم جزافاً على « عبد الرءوف نور الدين » .

ورغم صداقتى لعبد الرءوف إلا أنه لم يكن يحبنى لأنه كان يشعر بالنقص تجاهى .. فهو ضمن الدفعة التى لم تحصل على شهادة إتمام الدراسة الثانوية . واقتصر تعليمه على العلوم العسكرية الضحلة والملاكمة .. أما أنا فقد درست علوم البحار على مركب إيطالى .. ثم التحقت بالكلية الحربية ثم حصلت على « ليسانس » الحقوق .

وراح « يوسف رشاد » يذكرنى بأشياء وكلمات قلتها ـ فعلاً ـ لعبد الرءوف نور الدين ضد بعض نساء الحرس الحديدى مما جعلنى أشعر بالحرج .. وأوضح لى أنه كان فى النية قتلى .. لكنهم شعروا بأن مولانا لا يمكن أن يوافق على هذا فالملك يذكرنى فى مجالسه كثيراً

ويسميني « الفلاح أبو شعر منكوش » بل إن وجهه يبتسم عندما يتكلم عنى .. وقال: «يوسف رشاد » انه سوف يتم نقل « عبد الرءوف نور الدين » إرضاءً لخاطرى .. لكنى لم أخطر « عبد الرءوف » بشيء وهو يودعنى مسافراً إلى جبهة القتال بفلسطين .. وقيل إن اليهود تمكنوا من اصطياده أثناء المعارك هناك .. ومع ذلك فإنى أكاد أجزم بأنه قتل بأيد مصرية !

فى إحدى سفريات الجيش كان ضمن زملائى « خالد محيى الدين » .. وسألنى : ما الذى أفعله أنا و«جمال منصور » (؟!) .

ولم أتكلم عن « جمال منصور » .. فهو صديق قديم تستهويه المغامرة ولكن فى حدود .

وشرحت لخالد محيى الدين ـ بطريقة مباشرة ـ الأسباب التى جعلتنى ، وأنا من الوطنيين الفدائيين ، أنضم إلى هذه الزمرة من القتلة وأنغمس فى هذا المستنقع الملىء بالدم والخيانة.. فطلب منى « خالد » أن أضع الحرس الحديدى فى قبضتى وأسيطر عليه تماماً .. ونجعل منه وسيلة لخدمة الضباط الأحرار .. حتى إذا ما عرف الملك أو رجال السراى أيا من هؤلاء الضباط وجب على أن أنقذه وأمنع تصفيته ـ بأى حال من الأحوال ـ كما حدث مع اللواء «محمد نجيب » . وقمت بما طلبه « خالد محيى الدين » خير قيام .. فأخطرت الكثيرين بما يدبر ضدهم ومنهم « عبود باشا » عن طريق أحد العاملين معه .. وعندما طلبت قتل سير « مايلز لامبسون » المندوب السامى البريطانى .. رفض الجميع بحجة أن الجيش الانجليزى سينتقم له بفظاعة .. لكنى رحبت بهذا الانتقام لأنه سيوقظ الروح فى شباب مصر الراقدة فى ثبات عميق .

فى الوقت نفسه .. كان الحرس الحديدى يقوم بتصفية أشخاص لا قيمة ولا حول لهم ولاقوة .. بل إن بعضهم لم يكن يستحق ثمن الرصاص الذى أطلق عليه .. ومع ذلك أحمد الله على أننى لم أدنس يدى بهذه القذارات إطلاقاً ..

وطلبت تكوين حرس حديدى .. كوحدة بذاتها فى الجيش ـ للدفاع عن الإسلام والعروبة .. لكن طلبى قوبل بالرفض لأن الملك لم يشجع هذا الاتجاه .. وبدأ نشاط التنظيم

فى الركود حتى تلاقيت مع « يوسف صديق » الشيوعى رقم واحد فى الجيش بل فى مصر !

ـ٦ـ

كان « يوسف منصور صديق » أحد الذين يدرسون لنا فى الكلية الحربية .. ومن صفاته منتهى الشجاعة والقوة والفقر أيضاً .. كان يحبنى وكنت أبادله الحب وأقدره .. وكضابط عظيم فى الجيش كان يعرف أننى أحد أفراد الحرس الحديدى الملكى .

وذات مرة قدم لى مجموعة من المنشورات التى يصدرها الشيوعيون فى مصر .. وحاول إقناعى بالانضمام إلى التيار الشيوعى .. لكنى فوجئت بأن موقفه من الصهاينة فى فلسطين مائع .. بل إنه لايجد ما يمنع من وجودهم .. فأيقنت أن الرجل خان وطنه .. ووجدت من الضرورى إخطار الحرس الحديدى بذلك .. فذهبت إلى « خالد فوزى » و«يوسف حبيب» وأخطرتهما بالمرض الذى ينخر فى عظام الجيش المصرى .. وسألانى عن الرجل الذى يقود هذه العملية .. فامتنعت عن ذكر اسمه إلى أن أقابل الملك وأضمن الأمان لهذا الرجل الذى وثق فىّ فلا أخونه أو أضره لاسيما أنه يعول أسرتين .. لكنى هددت بالقتل إن لم أخبرهما باسم الضابط الذى ينشر الشيوعية فى الجيش .. ولم أهتم فهما أضعف منى .. وتأزم الموقف واشتبكنا بالأيدى وكاد الأمر يتطور لأكثر من ذلك .

وتدخل الملك ليحل الأزمة بنفسه .. فأعطى الأمان لهذا الضابط .. ووعد بألا يضره أبداً.. ولكن ضابط البوليس « عبد الله صادق » أرسل خطاباً سرياً إلى « يوسف صديق » وأخبره فيه أننى وشيت فيه .. وأنه الآن أصبح تحت المراقبة وسيهاجم فى وقت قريب .. فقام « يوسف صديق » على إثر الخطاب بإحراق وتدمير جميع الأوراق ومعدات الطباعة التى كانت فى حوزته .. وطلق إحدى زوجتيه ، وحمل مدفعاً رشاشاً أخذ يطوف به حول منزل خطيبتى فى حى « الزيتون » وكان قبل الفجر يطلق عدة دفعات من الرصاص حول المنزل كنوع من التهديد .. لكنى فى الغالب لم أكن موجوداً هناك .

وأردت أن أوقفه عند حده .. فذهبت إلى منزله ليلاً وأحرقت كل ما كان يضعه فى الحديقة من أثاث وأدوات ليكون هذا درساً عملياً بسيطاً .. وتعقل بعد ذلك ـ وتوقف عما

يقوم به .. وصدر أمر بنقله إلى السودان .. ولم يكن « يوسف صادق » يعلم أننى وراء العفو الملكى الذى صدر بشأنه .

وفى هذه الفترة تقابلت مع « جمال عبد الناصر » و « عبد الحكيم عامر » أمام إحدى دور السينما بشارع سليمان باشا .. ولم أجد منهما أى نظرة عداء ..

الفصل الثالث

الملك يقود الفدائيين ضد الانجليز فى منطقة القنال !

- ١ -

اتصلت بى « ناهد رشاد » تيلفونياً وأنا فى المعسكر ، وطلبت مقابلتى لأمر عاجل .. وتقابلنا .. وفاجأتنى بإخراج خمسمائة جنيه من حقيبتها وتعطيها لى قائلة إنها من الملك لدعم نشاط الفدائيين ضد الانجليز فى منطقة القنال .. وفسرت عدم ظهور الملك بنفسه فى هذه العملية .. بأن الإنجليز يبثون العيون حول الملك ويرصدون أدق تحركاته .. وإذا ثبتت لهم أية صلة بينه وبين الفدائيين فسيطرد من المملكة أو يقتل بشكل أو بآخر .. لكنه يبعث بهذا المبلغ البسيط لأنه لا يريد أن يدفع مبالغ كبيرة تجعلنا نتورط .. وسوف يوالينا بكل طلباتنا من أسلحة وغيرها .. أو حتى أية مبالغ أخرى نحتاجها مستقبلاً .. والمطلوب هو الكتمان التام لأن « الوفد » فى سبيل الوصول إلى الحكم وقد يبلغ الانجليز عن نشاط الملك مع الفدائيين فتقع الكارثة !!

كنت منهمكاً ـ ومعى مجموعة من ضباط الحرس الحديدى ـ فى تدريب المتطوعين من مختلف الأحزاب فى صحراء الهرم .. يمثل كل حزب خمسون جندياً يقدمهم إلى اللجنة العسكرية المشكلة منا .. وأثناء التدريب النهائى إذا بعدد من العربات تخترق الأرض فى اتجاهنا وتحاول اللحاق بنا .. مما اضطرنا إلى الهرب وترك أرض التدريب .

وشددت الرقابة علينا .. حتى إن الملك أو غيره لم يتمكنوا من إمدادنا بالسلاح .. فلم يصبح أمامنا من سبيل سوى إخراج سلاح الحرس الحديدى من مكامنه بمدافن الرفاعى .. وانتقل التدريب إلى « عزبتى » .. ثم ذهبنا إلى منطقة القنال .. وفى طريق «المعاهدة » بين الاسماعلية وبور سعيد .. بدأت المهمة ، فقد قتلنا كل من كان بداخل عربتى نقل انجليزيتين وأحرقناهما تماماً .. وأخذنا فى تنفيذ سيل من العمليات الصغيرة .. ومع هذا لم

تكن تلك خطتنا فقد كنا نهدف إلى القيام بعملية ضخمة تهز أرجاء انجلترا نفسها ..

وتوجهت أنا و «خالد فوزى» إلى السفارة الانجليزية ورحنا ندور حولها بقصد ضربها بالقنابل من جهة النيل .. لكننا أدركنا أن هذه العملية قد يترتب عليها إبعاد البوليس المصرى الذى أصبح بعد «المعاهدة» يتولى حراسة السفارة، وعودة الحراسة الإنجليزية.. فصرفنا النظر عن العملية .

وأصدرنا أمراً إلى جميع أعضاء الحرس الحديدى بقتل أى فرد انجليزى يمكن قتله .

وذات يوم قابلنى النبيل «عباس حليم» فى نادى السيارات .. وكانت علاقتى به قوية إلى درجة جعلت الملك يستشعر الخوف من ناحيتها .. وطلب كافة المعلومات عن كل منا.. ولولا الدكتور «يوسف رشاد» لساءت العلاقات بينى وبين الملك .

وذات مرة ذهبنا معه إلى قصره فى «جاردن سيتى» وهناك أبلغنى بأن شخصية انجليزية كبيرة ذات صلة قرابة مع الأسرة المالكة فى انجلترا قد حضرت إلى مصر وسوف تذهب لزيارة «جزيرة فيشر» الساحرة التى اشتراها «محمد شعراوى» وسيصحبها أحد أقرباء سير «فيشر» منشىء الجزيرة .. وقال لى «يوسف رشاد» إن قتل هذه الشخصية سوف يحدث هزة هائلة فى انجلترا .

وتمكنا من معرفة مداخل الجزيرة ومخارجها وموقع الاستراحة الخشبية التى سيجلس فيها الضيفان ..

ولحظة تقديم «الديوك الرومى» ـ التى تشتهر بها الجزيرة ـ على المائدة .. دخل اثنان من الحرس الحديدى .. وأرسلا أفظع الأخبار وأشدها حزناً إلى الإمبراطورية البريطانية .

ولجزيرة «فيشر» معنا .. قصة أخرى لا يمكن أن تنسى .. فمالك الجزيرة الجديد «محمد شعراوى باشا» ابن هدى هانم شعراوى» . و«ابراهيم باشا شعراوى» اقطاعى المنيا .. وأحد أعمدة الانجليز قديماً .. و«ابراهيم باشا هو الذى شجع الإنجليز وقادهم ـ مع غيره ـ إلى أماكن تجمع الوطنيين المصريين ..

كان «محمد شعراوى باشا» يكره الملك وكان الملك يبادله نفس الشعور .. لكن الأول

كانت تربطه علاقة مودة بى .. بحكم الجوار ، خاصة بعد أن اشترى « عزبة فيشر » التى تقع أمام عزبتنا بمركز « العياط » بالجيزة .. رغم أن « فيشر » تقع فى مركز « الصف » لوجودها فى الناحية المقابلة .

وكان « شعراوى باشا » الإبن مرحاً خفيف الظل .. وفى منتهى الكرم أيضاً .. وكثيراً ما استقبلني فى قصوره بالحفاوة البالغة حتى أنزلته فى نفسى منزلة خاصة .. وكنت أخشى يوم يطلب فيه الملك رأسه .. لكن الذى حدث أنه هو الذى طلب رأس الملك (!!) فقد ألقى ببضع كلمات ـ ذات مرة ـ فهمت منها أنه يود لو يجد شخصاً يستطيع تصفية الملك!!

ودهشت لهذا الموقف المعكوس .. وبدأت أبحث عن السر .. وعلمت أن « الباشا » اعتاد على أن يرسل هدية سنوية من « المانجو » الفاخر الذى لا مثيل له .. وتتجه هذه الجزيرة الفريدة ـ إلى قصر « بكنجهام » بلندن حيث مقر الأسرة المالكة الانجليزية .. تقرباً إلى الإنجليز ..

وأدركت أنه يسير على نفس طريق والده « ابراهيم باشا شعراوى » الذى قدم للجنرال « ولسلى » الانجليزى « طبنجة » تاريخية مطعمة .. لانتصاره على « أحمد عرابى» فى « التل الكبير » .

وقررنا منع هدية « المانجو » بدلاً من تصفية « محمد شعراوى » .. ووافق الدكتور «يوسف رشاد » .. كانت الهدية ترسل فى فصل الصيف .. بواسطة مركب بخارى خاص يحملها فى النيل حتى الاسكندرية ومنها تشحن باسم ملك بريطانيا .. وذات ليلة .. ارتدينا أقنعة تخفى وجوهنا واعترضنا طريق الهدية فى هدوء عند اقتراب « الوابور » من حلوان .. وبالاستعانة بأحد القوارب تسلقنا الوابور « وشهرنا الأسلحة فى وجوه عمال النقل وعمال « الوابور » .. وطلبنا منهم تفريغ « الهدية » فى النيل .. مصورين لهم أننا من الفدائيين وليس معقولاً ونحن نحارب الانجليز أن يرسل أحد إلى ملكهم هدية «مانجو»..
وحذرناهم من العودة إلى نقل الهدية .. وإلا قتلناهم جميعاً فى المرة القادمة .

وفي اليوم التالى طلبنى « محمد شعراوى ». وسألنى عمن أخطر الحرس الحديدى بأنه يرسل هدية سنوية إلى انجلترا ؟ قلت إن للملك عيونا فى كل مكان .. فطلب رأيى فيما

يفعل بعد ذلك .. فنصحته بأن يرسل هداياه من « المانجو » إلى الملك « فاروق » والدكتور « يوسف رشاد » .. فما كان منه إلا أن أطلق يدى فى إرسال هذه الهدايا مع عدد من «الديوك الرومى » التى اشتهرت بها جزيرة « فيشر » .

- ٢ -

وذات يوم .. أخطرنى الدكتور « يوسف رشاد » بأننا سنسافر ومعنا بعض ضباط الحرس الحديدى .. ليلاً - إلى « بنى سويف » وبأننا سننزل عند أحد الباشوات فى مركز «ببا» .. وأكرم الباشا وفادتنا إلى أقصى الحدود .. وكان اسمه الأول « جابر » ولا أتذكر الباقى .. ثم بدأ يعرض علينا مبالغ خيالية إذا أرحناه من بعض الأشخاص .. وراح يؤكد لنا أننا لن نكون موضع محاسبة من السلطات لأننا « حرس حديدى ملكى » ..

وشعرت - لحظتها - بأننا أصبحنا ، فى نظر ذلك الاقطاعى الصعيدى ، قتلة محترفين يمكن تأجيرنا مثل عتاة المجرمين والأشقياء .. وأخذ الباشا يزيد فى المبلغ لمن سيقوم بتنفيذ العملية .. حتى أصبح من الممكن أن يشترى به فيلا وسيارة وزوجة أيضاً .

ومن الغريب أن جميع من كانوا معى وافقوا على هذا العرض واعتبروه فرصة ذهبية يجب اقتناصها .. والأكثر غرابة أنهم تسابقوا على التنفيذ .. ورغم أن ظروفى المالية كانت - وقتها - سيئة لضآلة مرتب الجيش وتعدد المنافذ التى تصرف فيها المبالغ التى أحصل عليها من وقت لآخر مقابل مهاجمة الشيوعيين أو مساعدة الفدائيين .. ورغم أن الدكتور «يوسف رشاد » و«عبد الله صادق » بدآ يعرضان علينا - أثناء عودتنا - القيام بمثل هذا النوع من العمليات المربحة .. رغم هذا فقد رفضت العرض أنا و « خالد فوزى » .. بل اتفقت معه على إيقاف هذه العملية بقتل ذلك « الباشا » الاقطاعى عندما يصل إلى قصره المنيف فى منيل الروضة .. لكن حلاً آخر قفز إلى ذهننا : أن نكتفى بإخافته لإبعاده عن دائرة الحرس الحديدى ..

واتجهنا فى منتصف الليل - عشية وصوله للقاهرة .. إلى قصر الباشا وأطلقت دفعتين من الرصاص ، وقصدت أن تصطدم بأحد الحوائط حتى تترك أثراً واضحاً يجعل السيد «الإقطاعى » يتذكر سوء نتائج استخدام الحرس الحديدى فى منازعاته الشخصية .

ومن يومها لم نسمع عن ذلك الرجل شيئاً إلى الآن !

- ٣ -

بسبب ابتعادى عن منطقة القنال .. احتل مكانى الأستاذ « أحمد مجاهد » *المحامى .. وحاول أن يقود الفدائيين خاصة أعضاء الحزب الوطنى .. وكان « أحمد مجاهد » شجاعاً ووطنياً مخلصاً .. لكن تنقصه الدراية العسكرية والخبرة القتالية .. فلا يمكنه قيادة هؤلاء الفدائيين .. لأنهم ليسوا جنوداً بالمعنى الحقيقى ، بل مجرد أفراد عاديين يدفعهم حبهم للوطن والمغامرة والشهرة .. إلى دخول القتال ضد الجنود الانجليز ..

اصطحبت القوة المطلوبة وسافرت مع « مصطفى كمال محمود » ابن أخى اللواء «محمود جاد » وابن أختى « عمر محمد عطية » ـ عضو مجلس الشعب ـ إلى منطقة « بحر البقر » ومنها إلى جزيرة « بوز القرد » ..

وبدأت أخطط للمعركة القادمة .. كانت الأرض ممتلئة بالملاحات والمستنقعات وقد أجهدنا ـ تماماً ـ فى هذا اليوم الذى تناولنا فيه الغداء فى « عزبة عزام » أمام بحر البقر ..

وقبل أن أصدر أوامرى النهائية بالقتال .. قام بعض هؤلاء الشباب بقيادة « مصطفى كمال » و « محمد عطية » و « أحمد مجاهد » بضرب عربة إنجليزية على الطريق بين الاسماعلية وبورسعيد .. وبذلك أعطوا الانجليز إنذاراً كافياً بأن الفدائيين داخل الملاحات ويحتلون « بوز القرد » .. وكانت النتيجة هجوم مضاد من جانب الانجليز مما اضطرنى إلى الانسحاب سريعاً قبل أن نقع فى أيديهم .. ولم يقتل أحد من الفدائيين فى هذه الحملة الخائبة .

وأدركت ضرورة وجود ضباط الحرس الحديدى معى فى جميع العمليات الفدائية ، فللتعليم والخبرة أهمية بالغة فى حرب العصابات .. ووصلت أنباء العملية إلى الملك كعمل يقوم به أحد ضباط الحرس الحديدى ، فأرسل لى مبلغاً من المال لم يصلنى !

---

* « أحمد مجاهد كان عضواً بمجلس الشعب ونائباً لرئيس حزب العمل الاشتراكى .

وبلغت حالتى المالية درجة « الصفر » .. ولم يكن « خالد فوزى » بأحسن حالاً منى.. ولم نجد أمامنا من سبيل إلا السطو على عربات قطار انجليزى محمل بالسلاح والعتاد والمؤن فى منطقة « القبارى » .. فارتدينا ملابس مهلهلة واصطحبنا « محروس » لص عربات السكك الحديدية الشهير .. وتسلقنا القطار الذى كان رابضاً ـ بلا حراك ـ بهيكله الضخم فى ظلام الليل .. ووقع بصرنا على عربة مليئة بما نريد من أسلحة ومعدات فطلبت من «خالد فوزى » أن يحضر سيارة الجيش المصرى التى جئنا بها .. ورحنا نملؤها بها فى القطار الانجليزى ثم أسرعت إلى « عزبة الصفيح » بالورديان حيث أعددنا وكراً أفرغنا فيه حمولة السيارة.

وعدنا مرة أخرى ـ للقطار ـ نعيد الكرة من جديد .. وفجأة ظهر لنا اثنان من الجنود الانجليز حاولا إخراج مسدسيهما ولكن « خالد فوزى » دهس أحدهما بالسيارة .. وسحقت أنا رأس الثانى بضربة من « دبشك » بندقية العسكرى « اسماعيل عجور » الذى كان يجلس بجوار « الغنائم » الانجليزية ـ هذا العسكرى صادفته من خمس سنوات يعمل تاجر فاكهة فى شارع محمد مظهر بالزمالك ـ ثم جردناهما من الأوراق والنقود والملابس ، ووضعنا حول جثتيهما أثقالاً حديدية وألقينا بهما فى البحر .. وساعدتنا الأمطار ـ التى هطلت يومها بشدة ـ على إزالة آثار الدماء .. وذهبنا إلى « عزبة الصفيح » حيث أحضر «محروس » بحار الهلب الذى يتعامل فى الأشياء المسروقة من الجيش الانجليزى ، واشترى كل ما معنا.

وعدت إلى القاهرة وأحطت « ناهد رشاد » بالعملية الناجحة التى قمت بها ضد الجيش الانجليزى .. ونقلت لى بعدها رضاء مولانا الملك التام لهذه الأعمال.

عبر التليفون .. جاء صوت السيدة « ناهد رشاد » آمراً بالذهاب إلى منطقة « القطع » بين سواحل «الديبة» و«أشتوم الجميل» بالقرب من بورسعيد حيث يوجد فى انتظارى واحد من أمراء البيت المالك فى مأزق حرج.

ووصلت إلى « عزبة البرج » برفقة أحد ضباط خفر السواحل ـ الذى عملت به لفترة وكنت أعرف أغلب ضباطه ـ وسرنا بسرعة معتدلة حتى وصلنا إلى نقطة « الديبة » فتسلم

الضابط حصانه ، وسرت أنا على الأقدام إلى نقطة « القطع » ولمحت يختاً بديعاً واقفاً مطفأ الأنوار .. تقدمت إليه بعد معارضة من الخفراء ووضعت قدمى بداخله .. كان أكثر من رائع بل يمتاز بطابع ملكى فريد .. وظهر صاحب اليخت : شاب فى مثل سنى ـ تقريباً ـ تظهر عليه ملامح العائلة المالكة بوضوح .. لكنه أوربى العينين تماماً ـ ووقفت أمامه باحترام بالغ ورحنا يتأمل بعضنا البعض .

ثم تكلم بلغة فرنسية منغمة قائلاً : « هل انتهيت أيها الفلاح من مراقبتى ؟ » وضحك بصوت مسموع ، وشاركته الضحك لكن بأدب .. وعرفته بنفسى ورتبتى فى الجيش وأعلنت له استعدادى لتلبية كل ما يشاء من خدمات .. فطلب منى الجلوس .. وأخبرنى بأننا سنخرج إلى عرض البحر ونصل إلى مركب انجليزى يلقى مراسيه خارج المياه الاقليمية .. ونأتى منه بسيدة على جانب كبير من الأهمية .. ونحضرها للقاهرة .

وأضاف الأمير : « وهنا ينتهى دورك .. لأننى أردت ضابطاً مخلصاً جريئاً يمكن أن ينهى أية عقبة تصادفنا إذا ما اصطدمنا بالسلطات التى تحمى السواحل » فأخبرته بأننى تحت إمرته فيما يريد .

وبدأ اليخت فى التحرك إلى أن وصلنا تجاه المركب المقصود .. وما أن رأونا حتى أنزلت شباك السلم على جانب المركب المواجه لنا ورسا اليخت بجوارها .. ثم تسلقت والأمير الحبال ، واتجهنا لمقابلة « كابتن » السفينة « تج سكوتش » .. الذى صافحنا بأدب واضح ثم جلسنا معه فى « كابينة » القيادة وقدم لنا مشروباً .. لكن لا أنا ولا الأمير تناولنا شيئاً .. وإذا بسيدة تدخل المكان .. فيروزية العينين جمالها يخطف الأبصار ويخلب الألباب ويشتت اتزان أى رجل مهما بلغت سيطرته على مشاعره . وطلب منى الأمير أن أسير وراءه مصطحباً إياها .. وبدأ هو فى النزول .. بينما تأهبت لمساعدة السيدة أثناء نزولها على الشباك. حتى يتلقاها الأمير منى فى اليخت الذى سيلتصق با لمركب .

ونزل ـ بالفعل ـ إلى اليخت قبلنا .. وبدأت أنا والسيدة فى النزول وكل شىء يسير على ما يرام .. وعندما اقتربنا من النهاية فوجئنا بموجة ذهبت باليخت بعيداً عن مكانه ولولا وجودى بجوار السيدة لسقطت فى البحر .. فقد أسرعت بوضع يدى على منكبها بقوة ..

وضممتها لصدرى بقوة أشد .. بينما تشبثت يدى ، بأعنف ما يمكن ، بالسلم الذى نقف عليه .. حتى أصبحت أغطيها بجسمى كله وهى بينى وبين المركب .. كان الظلام قد أرخى سدوله ورغم أن لفحة من هواء بارد كانت تسرى فى الجو .. إلا أننى شعرت بحرارتها تلف كيانى كله .. فوجدتنى أقبلها ولم تنجح فى ابعاد وجهها عنى اطلاقاً . واشتدت حركة الرياح وراحت السفينة تميل ذات اليمين وذات الشمال .. مما جعلنى أظل على حالتى فى تشديد ضمها إلى لأجعلها فى أمان .. واستقرت فى أحضانى كطفل صغير إلى أن هدأ البحر وتمكنا من النزول إلى اليخت .

ووصلنا إلى بور سعيد .. وهناك ودع كلانا الآخر .. وظننت أن الموقف قد انتهى عند هذا الحد .. لكنى فوجئت بعد ذلك بمبلغ محترم من المال يصلنى ذات يوم .. وكنت متأكداً أن هذه السيدة أميرة من العائلة المالكة .

بعد أيام .. طلبنى الدكتور « يوسف رشاد » لحضور اجتماع للحرس الحديدى فى بيته .. وسألنى الدكتور ـ وهو يضحك عن تلك الرحلة التى يقال إننى قمت بها .. وعندما كان يضحك « يوسف رشاد » نعرف أنه فى حالة ضيق .. وفهمت أنه « غير مرتاح » لهذه العلاقة الجديدة .. وطلب منى أن أسافر معه فى طائرة « الكابتن » زوج ابنته شريف باشا إلى الاسكندرية لأنه سيحتاجنى فى بعض الأمور .. ولم أتراجع رغم أنى شعرت بأنهم بدأوا ينظرون إلى بعين لم أعهدها منهم !

وحينما كنت فى « بئر مسعود » بسيدى بشر «٣» .. أحاول أن أسبح قليلاً فى حمام السباحة بفرع نادى السيارات المنحوت فى صخر الشاطىء .. إذا بى وجهاً لوجه أمام صاحبة العيون الفيروزية .. التى عرفتنى على الفور .. أما أنا فقد تجاهلتها ـ تماماً ـ وكانت جالسة مع مجموعة من شهيرات سيدات مصر .. ولكنى لم أحفل بها اطلاقاً ..

وقد أخطرتنى بعد ذلك أنه كان من المقدر ـ لو عرفتها ـ أن « أقفل الموضوع » حتى تحافظ على سرية ما حدث وأخبرتنى بأنها قامت بجولات فى نواحى أوروبا بحثاً عن فيلم التقطه اليهود لمولانا صاحب الجلالة .. أثناء إحدى مغامراته النسائية العديدة .

ولكنها لم تنجح فى استعادة الفيلم .. لأنه كان قد أصبح موجوداً فى إحدى مستعمرات النقب بفلسطين .

عموماً .. لم تطلب السيدة مقابلتى ثانية .. ولكن بعد عودتى إلى القاهرة وجدت رسالة أسفل باب شقتى تطلب فيها مقابلتى فى إحدى فيلات الهرم ودون أدنى ريبة أو تردد .. ذهبت إلى المكان الذى حددته فى الرسالة .. فقد كنت أعرف أننى سأجدها هناك .

وحدث ما توقعته .. وحاولت أن أمد يدى إليها لكنها رفضت قائلة وهى تحاول أن تعطينى مبلغاً من المال لم أحاول أخذه على الإطلاق إنه ثمرة مجهودك .. قلت : وأى مجهود تطلبين ؟ قالت : أطلب منك قتل ملك أجنبى يا أيها الحرس الحديدى .. فبدا علىّ التردد واستطردت قائلة وهى تحاول أن تقنعنى وقمت بدور المستمع وأنا مستبعد لما تقوله تماماً لأننى لست قاتلاً أجيراً .

وأضافت وأن تقوم بعملية سرقة من أجلى .. وشرحت لى كيفية القيام بهذه السرقة وأنها سوف تمدنى بمعلومات عن الشخص الذى سوف نقوم بسرقته .

وابتسمت ومدت يدها الساحرة فوضعت عليها قبلة من صميم قلبى . وذهبت معها حيث أشارت إلى قصر الرجل الذى تريد أن تصفيه جسدياً .. لم يكن مصرياً بل مجرد ضيف .. إنه امبراطور إيران !! وبالطبع لما أعبأ بهذا وخاصة وأنه شىء لا ناقة لى فيه ولاجمل.

وبعد فترة جرت محاولة اغتياله هناك فى إيران .. ولم أعر هذه المحاولة أية أهمية ولكنى كنت أظن أن لها يداً فيها .

أما عملية السرقة فكانت عبارة عن فيلم فى حوزة أحد اليهود .. سيحضر إلى مصر لبيعه لزعماء « الوفد » .. وقتل الرجل سيؤكد أن الملك يخشاه فعلاً .. لكن سرقة ما معه من الممكن تكذيبها .

وحضر الخواجة من إيطاليا .. وتمكنا من الاستيلاء على حقيبته وخرجنا من المطار .. وكانت السيدة فى انتظارى ، وسلمتها الحقيبة .. وفوجئنا بما لم يمكن يخطر على بال .. فلم نجد فى الحقيبة سوى فيلم مزيف لا قيمة له .. فقد كان الرجل « نصاباً » ولأنه من الأعداء فقد أهدر الحرس الحديدى دمه وتم قتله ودفن فى صحراء حلوان .. ولم يشعر بغيابه أحد(!!) .

بعد ذلك ظهر أن الفيلم الحقيقى مازال موجوداً فى مستعمرة اسرائيلية .

الغريب .. أننا حين كنا ندبر كيفية استرداد الفيلم من المستعمرة الاسرائيلية اتصلت بى « ناهد رشاد » تليفونياً وأبلغتنى بأن عملية الفيلم قصد بها إخراجى ، ومعى الحرس الحديدى ، من معركة الفدائيين .. فالملك لم يطلب الفيلم .. لأنه موضوع قديم لم يعد يهمه بأى حال من الأحوال .. وأن الملك ينتظر منى تنشيط حرب الفدائيين فى القنال .. وأكدت لى أن السيدة ذات العيون الفيروزية أميرة من البيت الملكى لكن اتضح أنها ضالعة مع الانجليز الذين دفعوا لها مبلغاً ضخماً لإبعاد الحرس الحديدى كله عن عملية الفدائيين ؟؟

لم تكن عملية تهريب « حسين توفيق » سهلة .. فبعد أن تلقفته عربة بها بعض ضباط الحرس الحديدى بملابسهم العسكرية .. اتجهت نحو الحدود الشرقية .. حتى يمنح فرصة للذهاب إلى سوريا أو أى بلد عربى آخر .. وبعد مبيت ليلة فى السويس وجدنا أن البوليس وحرس الحدود لايمكن التفاهم معهما ـ أبداً ـ فى مثل هذه الحالة .. فنزلت ـ بنفسى ـ إلى بعض الصيادين الذين أعرفهم .. وطلبت منهم استلام ذلك الهارب إلى أن يعبر حدودنا إلى شرق الأردن بعد تغيير هيئته .

ورغم أننى دفعت إلى المسئول عن عملية التهريب جزءاً من المبلغ المتفق عليه .. إلا أننى رأيت فى وجهه ملامح جعلتنى لا أطمئن إليه .. مع أنه أقسم لى بأغلظ الأيمان على الحفاظ على سر الهارب .. فعولت على تغيير مكان مبيت « حسين توفيق » فتركته ينام عند بعض الأصدقاء اليونانيين فى منزل مجاور للمحطة يسمى « كوكانيدس » فلا أحد يضمن الظروف فى مثل هذه الحالة واصطحبت « كوستا » اليونانى لينام معى فى فندق شعبى بالسويس .. وهو الذى اتفقنا معه على أن يحضر إليه الصياد عندما يحين عبوره البحر الأحمر ومعه الهارب .

وبعد منتصف الليل .. سمعنا طرقاً بالباب .. وفوجئنا بالصياد يقتحم الغرفة وعلى وجهه علامات الشماتة والبطولة .. ومن خلفه مجموعة من رجال البوليس حاملين السلاح .. وسألونى عن الهارب بعد أن اكتشفوا عدم وجوده بالغرفة .. فلم أرد بل تجاهلت الأمر تماماً .. لكن الصياد الخائن نظر إلى « كوستا » وأشار إلى أخته « كيتى » ـ وكانت فتاة جميلة

رفضت كل محاولاتى مصادقتها عندما كنت أعيش فى السويس - فهاج « كوستا » وضرب الصياد بعنف أمام رجال البوليس دون أن يتدخل أحد لإيقافه .. لسفالة الصياد ومكانة كوستا فى السويس .

بعد ذلك ساعدنا كوستا على تهريب الرجل .. ولكن بعد جهود لم تكن باليسيرة .. خاصة بعد خيانة الصياد لاتفاقنا معه .

وطلبت منى « ناهد رشاد » أن أحترس لنفسى .. لأن هناك تصميماً على ضرب حركة الفدائيين ..

ورغم التحذير القاطع من جانبها - دائماً - إلا أننى لم أتردد فى الذهاب مع ذات العيون لقضاء أجازة على شاطىء البحر الأحمر حيث قضيت معها أجمل أيام حياتى .

وعلى شاطىء البحر .. طلبت منى أن أخبرها بدور « ناهد رشاد » فى الحرس الحديدى.. وعما إذا كانت هناك صلة بينها وبين واحد من ضباطه (؟) وطلبت منى ألا أخطر «ناهد هانم » بهذه الاستفسارات .. وإلا ستكون فتنة بينهما أنا المتسبب فيها ولكنى كنت أراوغها فلا تفوز منى بطائل لأنى كنت أرى أنه لافائدة تعود عليها من الاستمرار فى هذه الاستفسارات .

وأخبرتنى أيضاً بأن الملك سيترك البلاد ، وسيتنازل عن العرش فى أقرب فرصة بعد أن هزمه حزب « الوفد » وعاد للحكم على حراب الانجليز .

وقالت لى إنى رجل فلاح طيب ومن الخير لى أن أترك الحرس الحديدى قبل سقوط الملك.. بل فاجأتنى بأنها تعرف أننى لم أقتل الرجل الأجنبى الذى طلبت منى قتله لكن الظروف هى التى خدمتنى فى ذلك .. فقلت لها وأنا أحاورها إن هذا العمل فوق طاقتى طالما هو فى بلاده . وسكتت ثم قالت وهل سيكون فوق طاقتك لو حضر إلى مصر ؟

صدمتنى كلماتها هذه ، ورأيت أن المحادثة قد انتهت إلى هذا الحد .. ومن الأفضل لى أن أنسحب دون الالتفات إليها .

ولم نتقابل - بعد ذلك - أبداً حتى الآن .. لأن أغلب أبطال هذا الحادث مازالوا على قيد الحياة ويعيشون فى القاهرة فلم أشر إلى أسمائهم .

بدأت متاعب جديدة وشديدة تأتى من الجناح الآخر للحرس الحديدى وكنا نسميه جناح « yes Man » الطاعة العمياء ـ فقد وجدت تياراً قوياً لكى يستبدلونى أنا « وخالد فوزى » بأشخاص جدد من بينهم شخص اسمه « أنور السادات » ولم نهتم لأن هؤلاء الأشخاص لم يكونوا يتمتعون من الناحية الشكلية والعائلية بمواصفات ضباط الحرس .. لأنهم جميعاً من ذوى الأشكال المقبولة والعائلات فوق المتوسطة .

وكان على أن أواجه العاصفة الجديدة التى وجدت ظروفاً مهيأة بسبب اهتمامنا ـ أنا وخالد فوزى ـ بعمليات الفدائيين ضد الانجليز .. أما طلبات السراى المتمثلة فى « قائمة الخضار » الذين تريد تصفيتهم جسدياً .. فقد أصبحنا نقف فى طريقها ونعرقلها .. فى حين أن المتقدمين الجدد يطلبون رضا الملك ونيل حظوة عنده رغم أن أسماء بعضهم كانت قد أصبحت رنانة وكبيرة .

وللأسف ، لا أملك الآن وسيلة لإثبات هذا .. ولا يمكننى الإفصاح عن هذه الأسماء.. فمدى علمى أن بعضها ساعد فى قتل « أمين باشا عثمان » تقريباً من السده الملكية ..

وسألنا عن هؤلاء القادمين الجدد فوجدنا أن أفضلهم يعاشر فتاة ألمانية ـ إسمها هيلدا ـ فى « عوامة » ويقوم بأشياء غريبة كالاتصال بالنازية .. قبل سقوط ألمانيا وانتهاء الحرب العالمية الثانية! فى الوقت نفسه .. فان قاتل « أمين عثمان » كان معروفاً وحوكم وسجن وساعده الحرس الحديدى على الهرب نزولاً على رغبة الملك .. وهرب « حسين توفيق » إلى سوريا بمعاونة أحد ضباط الحرس الحديدى الذى أعطاه « سترته » الرسمية ليرحل بها .. بعد خروجه من دوزة مياه المحكمة .. وأخذته عربة إلى الحدود الشرقية كما تم سرده قبلاً ..

وبالتالى فان الدور الذى لعبه « أنور السادات » لم يكن بالقوة بحيث يؤثر على الملك فيقبله فى عداد أفراد الحرس الحديدى .

حدثت تغيرات سياسية عديدة جعلت الملك يضيق ذرعاً بنا .. ولم تعد لديه أية شهية لقتل أحد أو القيام بأى مشروع وطنى ، فقد نجح «الوفد فى العودة إلى الحكم .. وكان فى

هذا منتهى الغم والملل للملك ولم يعد يطيق البقاء فى مصر .. وبدأ يفكر ـ جدياً ـ ويعلن عما يدور فى ذهنه بقوله ـ غير آسف ـ أنه متأكد من أن نهاية ملوك أسرة محمد على سوف تكون بنهايته هو .

وأوقفت ليالى وولائم « يوسف رشاد » التى كان يقيمها للحرس الحديدى ولم تعد هناك صلة حقيقية إلا بين يوسف رشاد وكل من مصطفى كمال صدقى ويوسف حبيب وحسن فهمى عبد الحميد . أما صلته بى و « خالد فوزى » فقد وهنت إلى حد كبير .. وخيل إلى أنه لولا « ناهد رشاد » وخوفهم إيانا لقاموا بالتخلص منا .. لأن « يوسف رشاد » كان يرى أن الأسلوب الأمثل لإقالة أى ضابط من الحرس الحديدى ، نظراً لما يعرفه من أسرار الملك والملكة ـ هو تصفيته جسدياً .

ولم يستطع الملك ـ نفسه ـ أن يصدر قراراً بحل الحرس الحديدى بل ـ فقط ـ أراد ـ أن يتركه ليموت فى العراء .

وخلال تلك الهدنة التى عاشها الحرس الحديدى .. طلبنى « يوسف رشاد » ليبلغنى بأن الملك يريد إرجاع أمه وأخته التى تزوجت أحد الخدم من أمريكا ، ولكنه فى الوقت نفسه حذر من قتلها .. على أن يقوم بتنفيذ العملية ناهد هانم وجسن فهمى عبد الحميد وأنا فقط .

ولما كنت أعلم أن إخراجى من العمل فى مصر أمر مطلوب .. فقد رفضت ـ على الفور ـ الاشتراك فى هذه العملية متعللاً بأن هناك ظروفاً حساسة أمر بها وقتها .. وقلت ليوسف رشاد إننى سوف أخطركم بمدى استعدادى.. فقال : لقد تغيرت كثيراً وأصبحت تملى شروطك علينا .

وما إن وصلت إلى « ميس » الكتيبة السادسة مشاة .. حتى طلب منى «عبد الله صادق» أن أتصل ـ على الفور بالسيدة «ناهد رشاد » .. التى طلبت منى ـ بدورها ـ عدم الذهاب

إلى أمريكا .. لأن الأمريكان أصدقاء الانجليز وسينتهزون أية فرصة ويعتقلونني هناك ولن أعود إلى مصر .

وعليه .. رفضت المغامرة كلها ، ونجوت من كمين آخر أعد بعناية .. ونجحوا فى اقناع الملك بهدف يحقق ـ بموافقته عليه ـ رضا لنفسه .

ورغم ذلك .. أرسل الملك « ناهد رشاد » إلى أمريكا لتتفاهم مع والدته بالحسنى .. فى شأن الرجوع إلى مصر .. أما الأميرة « فتحية » التى تزوجت خادمها هناك فقد كان هذا التساؤل يفرض نفسه دائماً : هل يمكن للحرس الحديدى أن يقتل زوجها هناك ويعود الحرس سالماً (؟!) أم أن اسم الملك سيذكر فى الحادث وهو الحريص على عدم إغضاب أمريكا .. لاسيما وأنها لم تعط أذنا صاغية لانجلترا عندما طلبت إخراج الملك من مصر .. ونقل الملكية إلى ولى العهد أو أى أمير آخر .. وإلا فليمكن لاحد رجوات الهند أن يتولى أمر هذه المملكة .. لأن الملك فاروق غير مخلص للغرب نهائياً .

وأقمنا احتفالاً كبيراً لتوديع السيدة « ناهد رشاد » قبل السفر إلى أمريكا ، وكانت الإشاعات قد سبقت بأنها مريضة وستقوم ببعض التحاليل والفحوص الطبية هناك .. وبعد سفرها شعرنا بأننا بدون غطاء أو سند لنا فى السراى .

وفى تلك الفترة .. مات ـ فجأة ـ أحد « باشوات » القاهرة وكان عضواً فى حزب «الوفد».. فاستغل الحزب هذه الوفاة وراح يشيع وينشر أن الحرس الحديدى هو قاتل الرجل العظيم .. وأخذت المظاهرات تجوب شوارع القاهرة تنادى بالويل والثبور للعربة السوداء التى تتحكم فى مصائر الوطنيين .. لكنهم لم يجرؤوا أبداً على أن يهاجموا الملك « على المكشوف » . وذهب بعض وجهاء الحزب الكبير إلى السفارة الانجليزية يطلبون النجدة والحماية من الملك الذى يحكم البلاد بحرس حديدى .

وبدأت متاعب « مصطفى كمال صدقى » التى لا تنتهى .. فهو شخص لا يصلح إلا للتمثيل فى السينما .. أما « وقت الجد » فهو غير موجود . وكثيراً ما تركنا أثناء العمل الجدى واختفى بحجة ذهابه إلى دورة المياه (!!) .

وكان « مصطفى كمال » يحقد علي ويكرهني . . لكني لم أكن أبادله هذا الشعور . . بل على العكس كنت أعلم أنه شخص لن يأتي من جانبه إلا المتاعب فقط .

ولم يكن ـ وحده ـ الذي لا يصلح لشيء إلا للتمثيل بل فرض علينا بعض أمثاله . . من بينهم « علي حسنين » و « عبد القادر طـه » . . وحتى الآن مازلت مصمماً على أن العملية الخاصة بهذا الأخير لم يكن للملك فيها أي يد على الإطلاق . . وربما ترجع تصفيته إلى أحقاد شخصية بحتة .

الفصل الرابع

الحرس الحديدى يستبدل القتل بالمدافع بالقتل بالدبوس !

- ١ -

طلب منى شقيقى اللواء « محمود جاد » وكان حكمدار إحدى عواصم الوجه القبلى أن أحترس من البوليس السياسى لأنه يدبر لاعتقالى .. ولن يحمينى الملك .. بعد أن أصبحت صورتى سيئة أمامه .. لأنهم يحملوننى كل جريمة لم تتم :. وكل عملية قتل انتهت بالفشل .. ورغم أن هذا كان حقيقياً إلى حد بعيد .. إلا أننى كنت أعرف أنهم يخشون ما أعرفه من معلومات خطيرة قد أدلى بها فى حالة اليأس .

وكلمتنى السيدة « ناهد رشاد » وطلبت منى أن أقابلها فى نادى السيارات .. وهناك فوجئت بها تطلب أن أجهز « العربة » وسيحضر لدى الحرس الحديدى بأكبر قوة .. لأنه مطلوب نسف القطار الذى سيستقله « النحاس باشا » فى إحدى رحلاته للصعيد . وسيتم تنفيذ العملية فى مدخل مدينة « العياط » .

وبدا من أسلوب كلامها معى أنها غير موافقة على هذا القتل الجماعى لأن هناك عدداً كبيراً من الأبرياء سيقتلون .

وأحسست بأنها تطلب منى أن أعمل على إفساد هذا التدبير بأى ثمن .. وأدركت أن وراء الأكمة ما وراءها :. فذهبت لمقابلة « حسن فهمى عبد المجيد » فى منزله وعرفت منه أنه - أيضاً - غير موافق على أسلوب النسف .. وانضم إلينا فى الرفض « خالد فوزى » أما «مصطفى صدقى » فلم يكن يعتد به .. بينما كان « أحمد يوسف حبيب » العقبة الوحيدة أمام منع إتمام هذه العملية .. لأنه شجاع إلى حد الموت .. وفى الوقت نفسه شديد التأثر بشخصية الدكتور « يوسف رشاد » .. لكنه رغم عنفه وعدم اهتمامه بأى شىء فقد أبدى لى عدم استعداده لتنفيذ هذه المذبحة البشعة .. وتأكدت من أن العملية لن تتم .. لأن تفكير مرتضى المراغى ويوسف رشاد وعبد الله صادق لا يتعدى الخيال .

وقابلنى « خالد فوزى » بعد ذلك وأخبرنى بأن خلافاً وقع بين أفراد الحرس الحديدى وأنهم كادوا يتبادلون إطلاق النار .. وذلك بسبب « مصطفى صدقى » الذى يصول ويجول أمام السيدة « ناهد رشاد » صانعاً من نفسه بطلاً من أبطال القرون الوسطى ، ولايجد من يوقفه عند حده بعد موت « عبد الرءوف نور الدين » .. وقد تكلم عنى بأسلوب غير مهذب .. فطلبت من « خالد فوزى » أن يذهب معى إلى منزل « مصطفى صدقى » على الفور .

وفوجىء الرجل بحضورى .. فبادرته بقولى : « سئمت الحياة يا مصطفى ؟ » فانتفض واقفاً وقال فى هدوء : « ماذا تقصد ؟! » .

قلت : « ما الذى تريد أن تثبته ضد الحرس الحديدى والملك ؟ » . فرد على الفور : « أنا لا أحب الملك المغفل ولا أريد أن أكون ضمن الحرس الحديدى » .

وأمسك بالمصحف وأقسم عليه بأنه لا يكرهنى ولا يريد لى أذى مطلقاً .

ولم يكن أمامى غير أن أتركه ومعى « خالد فوزى » الذى فوجئت به يقول أثناء عودتنا .. نحن فقراء والملك عنده الكثير فلماذا لا نغترف منه (؟!) ونحن نقاوم الشيوعيين فى الجيش وقد منحنا حرية القتل حتى نخلص البلد والجيش منهم .

ولما وجدنى صامتاً لا أعلق .. أضاف : هل تثق بى (؟) فأجبته : طبعاً . قال : فلنذهب إلى « يوسف رشاد » .

وتقابلنا مع « يوسف رشاد » فى شقته المطلة على النيل . وطلب منه « خالد فوزى » ألف جنيه دفعة واحدة .. وكانت جرأة لم يعهدها أحد من هؤلاء المسئولين فى الحرس الحديدى .. ولما سأله « يوسف رشاد » عن سبب طلبه هذا المبلغ . قال « خالد فوزى » : إن الشيوعيين يستخدمون عرباتهم ، وأفراد الحرس الحديدى يسيرون على أقدامهم ونريد شيئاً من المساواة معهم حتى لا يغلبونا على أمرنا .

وأحضرت النقود من الملك وأعطيت خالد فوزى فاشترى سيارتين : واحدة له والأخرى لى .. ثم عاد يطلب مبلغاً آخر بحجة أن مطاردة الشيوعيين تضطرنا إلى ارتياد أماكن لا تمكننا دخولنا الهزيلة من ارتيادها .. فأعطى له ٢٠٠ جنيه .

وفى اعتقادى أنه ظل يطلب نقوداً بعد ذلك بشكل مستمر .. لأنه بدأ يصلّح فى شقته بمصر الجديدة ويستقبل نساء أرقى ممن كن يزرنه من قبل .. فاختفت تلميذات المدارس وطالبات الجامعة .. وظهرت مضيفات الطيران وبعض « الخواجات » ولوحظ أنه من حين لآخر كان يقيم ولائم .. مما يؤكد حصوله على مبالغ كبيرة من الملك .

ورغم أنى لم أكن أطالبه بشىء إلا أنه كان ـ من آن لآخر ـ يعطينى بعض المبالغ خصوصاً عندما نصل إلى شخصية شيوعية كبيرة .. فقد عرفنا أن « إيزيفتش » وهو صاحب عدد من المحال الشهيرة بميدان الاسماعيلية ـ التحرير الآن ـ اليوغسلافى الجنسية .. يساعد الشيوعيين الموجودين فى مصر ، ويمدهم بالأموال .. فطلبت قتله .. لكنهم لم يوافقوا لأن الرجل عندما شعر بأن أمره انكشف أسرع بإعطاء بعض الجهات مبالغ كبيرة جعلتهم يتغاضون عنه ، وسافر مؤقتاً إلى خارج البلاد .

وعندما كنت ـ أنا وخالد فوزى ـ نكشف أمر أجنبى يحرز منشورات أو يحاول نشر الدعوى الشيوعية .. لم نكن نبلغ عنه الحرس الحديدى بل نرسله ـ فى أسرع وقت ـ إلى جهنم .. وقد حدث هذا أكثر من مرة ، ولم يكن يعرف به سوى الدكتور « يوسف رشاد » .. الذى أعجبه هذا الحل المريح .. لكن المذهل والمثير للدهشة .. أننى ـ بعد هذا كله ـ وجدت نفسى متهماً بالنشاط الشيوعى ومطلوب اعتقالى لهذا السبب !

فقد تعرفت فى نادى السيارات بكونتيسة أجنبية ـ اسمها زغيب ـ عن طريق النبيل «عباس حليم» .. وأثناء حديثى معها أثناء جلوسنا فى « الروف جاردن » أسر أحدهم بمعلومات غريبة .. ملخصها أن « إمام بك » الذراع اليمنى لسليم باشا زكى حكمدار العاصمة .. قد حضر إلى « أرشيف » نادى السيارات بالبدروم .. وطلب كل الأوراق المتعلقة بى واستمر يقرأها ويفحصها وقتاً طويلاً ، وقد ناقش فيها سمو البرنس «عباس حليم » بصفته عضو مجلس إدارة ـ أو ربما رئيس المجلس ـ الذى أبلغه بأننى رجل هادىء بعيد عن السياسة كل البعد .

فذهبت إلى « ناهد رشاد » وشكوت لها من هذا النشاط السلبى ضدى .. فكلمت «مرتضى المراغى » ثم قامت بعدة اتصالات أخرى .. وطلبت منى الحضور ـ حالاً ـ

لمقابلتها .. وما أن تقابلنا حتى طلبت منى أن أقدم طلباً لاعادتى إلى القوات المقاتلة بفلسطين .. وفسرت ذلك بأن هناك اتجاهاً قوياً للقبض على ومحاكمتى بتهمة نشر الشيوعية فى الجيش (!!) وبذلك سيقلبون الأوضاع ولن أجد من يشهد فى صفى (!!) .

وعلمت أن الذى يقود هذه الحملة « مرتضى المراغى » الذى كان يكرهنى لأقصى درجة .. ويعلن أننى كنت صديقاً ليوسف منصور صديق .. وأننى أردت أن أخلى مكانه لأنتحله وحدى .. وأصبح « الكل فى الكل » بدلاً منه .

وطلبت منى « ناهد رشاد » ـ طالما أننى لن أستطيع أن أعود للجيش بسبب نشاطى مع الفدائيين ـ أن أكتب تقريراً رسمياً وأرفعه إلى رئاستى فى الجيش أذكر فيه ما قمت به ضد الشيوعيين .

وتركتها حيث كتبت التقرير وسلمته رسمياً إلى الرئاسات .. وأعتقد أنه قد أفسد عليهم تخطيطهم لتقديمى للمحاكمة ، فلم أسمع بعد هذا التقرير شيئاً فى هذا الشأن إطلاقاً .

ـ ٢ ـ

فى أحد أيام الصيف دعيت .. مع الدكتور « يوسف رشاد » إلى مائدة السيدة « سيزا نبراوى » بسيدى بشر «٣» .. وكان جميع الحاضرين ـ تقريباً ـ يعرفون أننى من ضباط الحرس الحديدى الملكى .. فكانوا يحتفون بى .. وبعد فترة جاءت المطربة « أم كلثوم » ومعها شخصان يبدو أنهما من الفرقة الموسيقية الخاصة بها .

وكانت « أم كلثوم » ـ وقتها ـ فى عز مجدها .. ولم أكن أنا إلا « يوزباشى » حديث الخدمة فرح بشبابه الغض .. ووجدتها تتبادل الحديث مع السيدة « سيزا نبراوى » بصوت هامس .. وشعرت أن هيئتى لم ترق لها .. وسألت الدكتور « يوسف رشاد » عن القتال الدائر فى فلسطين .. فما كان منه إلا أن قدمنى لها بأسلوب عظيم مفخم لكنها سألتنى سؤالاً سخيفاً عن القتال ظننت أنها تعرض بى كواحد من أفراد الحرس الحديدى . إذ قالت : هل قتلت أحداً وجهاً لوجه فى الحرب ؟ فرددت عليها بالإيجاب .. فعادت تقول : وهل يختلف القتل لو أنك قمت به فى غير ميدان الحرب (؟) وكان واضحاً أنها تومىء إلى

الحرس الحديدى .. فبادرت برد فى غاية السخافة وأنا أنظر إليها نظرة ملؤها السخرية قائلاً: أرجو يا سيدة الغناء ألا تتدخلى فى أى شىء غير الغناء .. فقالت « أم كلثوم » : لكنى لا أحاول أن أعرف شيئاً ؟ فرددت بلهجة حادة : خير لك أن توفرى مجهودك للغناء الذى لاتعرفين ولن تعرفى غيره .

ثار الجالسون جميعاً واستهجنوا أسلوبى فى الرد على « أم كلثوم » وحاولوا أن ينالوا منى .. لكنى لم أعبأ بهم وتركتهم فى ثورتهم مغادراً المكان بعد أن استأذنت الدكتور « يوسف رشاد» وانصرفت إلى حال سبيلى !

وظلت السيدة « سيزا نبراوى » متحاملة على لمدة طويلة بسبب ما حدث فى بيتها ولم تفكر فى أن تكرر دعوتى عندها بعد ذلك قط .. وعندما تقابلت معها فى إحدى الحفلات ـ صدفة ـ أشاحت عنى بوجهها .. لكننى صممت على أن أطيب خاطرها .. فجلسنا على مائدة منعزلة نتجاذب أطراف الحديث بعد أن أشفت غليلها منى بالعتاب المر والكلمات اللاذعة .. وأوضحت « سيزا نبراوى » أن « أم كلثوم » لم تكن تقصد أية إهانة ، بل لم تفهم سر انفعالى وغضبى إلا بعد أن انصرفت وأبلغها بعض الحاضرين بأننى من ضباط الحرس الحديدى الملكى .. فضحكت « أم كلثوم » وأدركت سوء الفهم الذى حدث .. قائلة : معه حق يزعل لأننى لو كنت مكانه لكنت عملت أكثر من هذا .

فقلت للسيدة « سيزا » إننى صحيح معجب بصوت « أم كلثوم » .. لكن ذلك لا يمنع إصرارى على أنها لا تفهم إلا فى الغناء .. فنظرت إلى السيدة « سيزا » بعتاب واضح قائلة : « حترجع تانى لطريقتك يا سيد يا جاد ؟ » .

وضحكت .. فاعتبرت الأمر مجرد مداعبة خفيفة ، وانتهى سوء التفاهم بيننا تماماً .. منذ تلك اللحظة .

ـ ٣ ـ

على غير العادة .. فوجئت بخالد فوزى يحضر إلى بيتى دون سابق موعد .. ويطلب منى ـ بلهفة شديدة ـ أن أرتدى ملابس مدنية بسيطة وأخرج معه على الفور .. لكننى صممت

على معرفة سر استعجاله قبل أن أتحرك خطوة واحدة .. فقال : إن إسرائيل تستورد الدبابات من القاهرة مباشرة .. فاستغرقت فى الضحك قائلاً : لابد أن لها فرعاً فى « وكالة البلح » .. لكنه رد بالإيجاب بمنتهى الجدية .. مما جعلنى أتحرك معه دون أن أضيف كلمة واحدة .

ووصلنا إلى منطقة لا أتذكرها الآن ـ يذكرها الأستاذ محمد حسنين هيكل ـ ورحنا ندرسها وساعدنا على ذلك أنها كانت بدون حراسة .. ثم اقتحمنا المخازن الكبيرة من منفذ حدده « خالد فوزى » الذى أخذنى ـ مباشرة ـ تجاه كتل حديدية ضخمة ملقاة ونزع ورق «القطران الأسود » الذى كان يغطيها ـ تماماً ـ وعلى ضوء المصباح الكهربائى راح يبحث أسفل هذه الورقة .. وكانت الكتل غارقة فى زيوت فزلينية ذات قوام سميك . وظل خالد يبحث حتى وصل إلى العلامة المميزة وقال : « اقرأ » .. وكانت علامة « الرولزرويس » جديدة واضحة .. وراح يكشف عن كتل أخرى تبين أنها على نفس الحالة .

وحتى تلك اللحظة لم أكن أفهم شيئاً عن الموضوع وتصورت أن « خالد فوزى » قد جن .. لكنه أعاد كل شىء إلى ما كان عليه .. واصطحبنى إلى خارج المخازن متوجهين إلى مكتب « محمد حسنين هيكل » فى « أخبار اليوم » وكانت صلتى به قوية وقد أخذ منى لافتة نحاسية لمستعمرة اسرائيلية وكذلك علماً اسرائيلياً وبعض أشياء أخرى إسرائيلية أعطيتها له عند رجوعى من ميدان القتال .. لكن هذه الصلة القوية انتهت تماماً بعد قيام الانقلاب .

وفى مكتبه بالدور الثالث ـ إن لم تخنى الذاكرة ـ أخذ « خالد فوزى » يشرح له كيف وقعت فى يده رسالة باسم مستورد مصرى تحتوى على بضع مئات من ماكينات «رولزرويس» خاصة بالدبابات . وهذه الماكينات ـ كما هو واضح من الرسالة ـ فى طريقها إلى إسرائيل .. وأن هناك عدة رسالات أخرى بعثت بها انجلترا إلى القتال باسم المستورد نفسه الذى لا يهمه إلا زيادة رصيده فى البنك .. وما إن شعروا بأن هناك خطأ ما حتى بدأوا يعيدون شحنها إلى إيطاليا باسم المستورد ذاته .. ومن إيطاليا تذهب الشحنة إلى إسرائيل فيضعونها فى دباباتهم لتواجه دباباتنا المتهالكة .

وتلك الرسالات تخرج من مصر كما دخلتها كأنها ماكينات قديمة مستعملة .

وعلى الفور .. أحضر الاستاذ « هيكل » المصور « محمد يوسف » ـ كبير مصوري الأهرام بعد ذلك ـ وتوجهنا نحن الأربعة إلى المكان حيث شاهدنا كل شيء مرة أخرى ، وتأكد «محمد حسنين هيكل » من صحة كل ما قاله « خالد فوزى » .

وعاد بنا الأستاذ « هيكل » مرة أخرى بعد أن استحضر أمرا يخول لنا دخول المخازن فى وضح النهار ..

وانتزعت الأوراق القديمة المهلهلة لتظهر الأوراق الجديدة التى تثبت أن الماكينات جديدة وليست مستعملة وأن العلامة الممهورة عليها « رولزرويس » .

وكتب « هيكل » تحقيقا صحفيا مصورا عن هذه الواقعة .. فجر به الفضيحة ، فتدخلت الحكومة المصرية واستولت على هذه الماكينات عنوة .. وقدم المستورد المصرى الخائن إلى المحاكمة وكان مصيرة السجن ومصادرة أمواله .

ـ ٤ ـ

ذات ليلة كنت فيها مكدودا متعبا ذهبت الى « العوامة » التى كنت أستريح فيها من عناء العمل المرهق .. وما أن دلفت من الباب وهممت بوضع أصبعى على « زر » النور .. حتى سمعت صوتا يأمرنى بأن أبعد يدى عن « الزر » وأرفعها لأعلى .. وإلا فسوف أموت على الفور .. وكانت مفاجأة تامة غير متوقعة لم أتمكن حيالها من عمل شيء إلا أن أقذف بنفسى خارج « العوامة » وكان الباب لايزال مفتوحاً .. لكن قبل أن أنهض أضيء النور .. وجدت « مسدساً » مصوباً إلى رأسى .. وإذا بشخص مصرى يوجه إلى الكلام قائلاً : ارحم نفسك .. فالشخصان الموجودان الآن من المخابرات الإنجليزية .. ويطلبان أن أخبرهما عن أحد ضباطهم الذى اختفى فجأة .. بعد أن أخبر بعض زملائه بأنه ذاهب معك أنت وضابط آخر .

ولذت بالصمت .. فإذا بأحد الضابطين الإنجليزيين يركلنى بقدمه قائلاً : انهض أيها الكلب الشرقى . (وأقسم ـ غير حانث ـ أن هذه القدم التى ركلتنى ظلت معى مدة

طويلة.. حتى خشيت أن تتعفن .. فأخذت أحد أصابعها وحملته معى إلى العزبة .. ودفنت الباقى) . .

ويبدو أن الضابط الآخر لاحظ أمارات الإهانة البالغة .. التى لطمنى بها زميله المتعجرف .. فنظر إليه وتحدث إليه بصوت منخفض .. فعاد الضابط الذى ركلنى يقول : ماذا فعلت أيها القرد أنت وزميلك للورد (؟!) وسررت بأن القتيل الذى فتكنا به فى جبال «اسطبل عنتر » كان لورداً إنجليزياً .. فقلت له إننى لا أعرف أى شيء عن هذا الموضوع .. فطلب منى ألا أحاول الإنكار .. لأنهم كانوا قد اتصلوا باللورد القتيل قبل أن يقوم معنا بهذه الرحلة .. التى كان واحداً من أفرادها رغبة منه فى أن يعرف « المغارة » التى زعمنا له أننا رأينا فيها أحد مستودعات الجيش الإنجليزى المتمركز فى البساتين .

وهددنى ضابط المخابرات الإنجليزية بأننى إذا لم أتكلم فسوف أقتل على الفور ، وتلقى جثتى فى النيل .

ونهضت بكل جرأة وغيظ واتجهت إلى أحد المقاعد وجلست وأنا أسأل الرجل المصرى هل هو مسرور بأن إنجليزياً يركل ضابطاً مصرياً بقدمه (؟!) .

وضحك الإنجليزى المعتدى بصوت مسموع .. وقال زميله الذى التزم الصمت : إنهم يعرفون العربية أكثر منى .

ولم أجد أمامى فرصة غير أنا أناور لأكسب وقتاً حتى أجد مخرجاً .. فقلت لهم : ماذا تعطوننى لو أعدت لكم الضابط المفقود حياً (؟!) فسألنى الإنجليزى الصامت ببرود : ولماذا تركتموه حياً مادام قد وقع فى أيديكم ؟! وأجبته : لنستبدل به منكم شيئاً ثميناً فى المستقبل . فرد الرجل ببرود أشد : وكيف نتأكد أنها ليست خدعة ؟ فقلت له بشجاعة فائقة : هيا أطلق على الرصاص وسوف يموت لوردكم الغالى من العطش والجوع .

وراح الإثنان يتكلمان بصوت خفيض ثم قال لى الضابط الإنجليزى البارد : اننى سوف أسير بينهما حتى أرشدهما إلى مكان اللورد المخطوف . وإذا بدرت منى أية حركة فسوف أقتل فى الحال .

وأحاط الثلاثة بى .. فطلبت منهم الاتجاه إلى المعادى .. وأنا لا أعرف وسيلة للإفلات من بين أيديهم .

ولعب قانون الصدفة دوراً فى إنقاذ حياتى .. فحين وقفت السيارة فى إحدى إشارات المرور .. فوجئت بأحد ضباط الحرس الحديدى ـ هو مصطفى صدقى ـ يمر فى الاتجاه المضاد .. وأصابته دهشة بالغة عندما رآنى أجلس داخل سيارة بين ضابطين إنجليزيين فنزل من عربته مسرعاً واتجه إلينا مستفسراً من الإنجليزيين عن وجهتى معهما ؟! فأجابه الضابط الإنجليزى بأنهما فى طريقهما معى إلى مكان ريفى لنلبى دعوة صديق لنا .. ولما لم أتكلم سحب « مصطفى صدقى » مسدسه ونادى شرطى المرور .. وأعلن لهما عن شخصيته ، وطلب من الانجليزيين النزول من العربة .. ولم يحاولا المقاومة .. فقد أصبحت مستحيلة .

وتوجهنا جميعاً إلى قسم مصر القديمة حيث حررنا محضراً .. أثبت فيه تهديدهما لى بالقتل .. واتصل أحدهما بالمندوب السامى البريطانى الذى تدخل فى الأمر ، وتسلمتهما السفارة الإنجليزية تمهيداً لترحيلهما إلى بلادهما .

أما الشخص المصرى فقد قدم لمحكمة الجنايات بتهمة مساعدة مجرمين فى القبض على أحد المواطنين دون إذن من السلطات .. وحكم عليه بالسجن .. وقتل فى محاولة هربه من «الليمان » .

وقد علمت من محضر البوليس أن الإنجليزيين ينزلان بفندق « مينا هاوس » تحت صفة سائحين .. واستأذنت أنا و«خالد فوزى » من الدكتور « يوسف رشاد » لقتل الضابط الإنجليزى الذى ركلنى بقدمه .. فوافق بعد الرجوع للملك .

وظللنا نراقب الفندق خمسة أيام متوالية .. حتى خرج منفرداً هذا الضابط المتعجرف واتجه ـ مترجلاً ـ إلى أعلى هضبة الهرم .. فسرنا وراءه دون أن يشعر بنا .. وطلبت من « خالد فوزى » أن نقبض عليه بنفس الطريقة التى حدثت معى فى « العوامة » .

وأصطحبناه داخل السيارة ، واتجهنا به إلى طريق الفيوم .. وكنت أريد أن أقوم بمشهد مسرحى .. بأن ألقى بجثته ـ عارية دون قدمه اليمنى ـ فى مبنى السفارة الإنجليزية ..

لكننا أدركنا أن هذا سيثير الإنجليز ضدنا بشدة .. فاكتفيت بعد قتله ودفنه فى صحراء الفيوم .. بأن أقطع قدمه التى ركلنى بها وأحملها معى حتى أشعر بأن كرامتى قد ثأرت لنفسها منه .. وشفيت غليلى .

- ٥ -

تقدمت باقتراح إلى الحرس الحديدى بإحالة « العربة السوداء » إلى المعاش ومعها المدافع .. على أن نتجه إلى أسلوب القتل الفنى .. باستخدام السم عن طريق الفم أو القتل بدبوس مسمم .. أو غير ذلك من الطرق الفنية .. وهذا الأسلوب سيقضى على من نريد تصفيته قبل أن يصل إلى منزله ، وبعد أن يفارق الحفل المدعو إليه .

ووافق الحرس الحديدى ـ صراحة ـ على تجربة هذا الأسلوب .. لما له من مميزات كثيرة فلا ضجيج ولا مدافع ولا حتى صوت .. وبالتالى فلا اتهامات .. لذلك خيل للكثيرين أن الحرس الحديدى قد انتهى بينما كان يبدأ فى أسلوب أكثر تطوراً .

وقد أردنا أن نجرب الأسلحة الجديدة للقتل الفنى .. لكننا أدركنا صعوبة تجربتها فى القاهرة ، فذهبت ـ ومعى « خالد فوزى » ـ إلى السويس لإجراء ذلك على بعض جنود الجيش البريطانى .

وتمكنا من اصطياد انجليزى برتبة « يوزباشى » .. كان يتمتع بقوة جسمانية هائلة .. واندفعت تجاهه ووخذته بالإبرة القاتلة .. فصرخ وأخذت أعتذر له وأطيب خاطره .. فاستكمل سيره .. وأخذنا نراقبه دون أن يدرى واستمر متماسكاً لمدة ساعتين فقط ثم سقط على وجهه فجأة .. فحمله البوليس الحربى الإنجليزى دون أن نعرف ماذا تم له بعد ذلك .

وحين عدنا إلى القاهرة فوجئنا بالدكتور « يوسف رشاد » يخبرنا بأن الملك يطلب أن يستقل « العربة السوداء » مع أحد ضباط الحرس الحديدى ليرى بنفسه كيف يعملون .. وسألنى الدكتور عما تم فى شأن تجربة السلاح الجديد ؟ فأخبرته بما حدث .. لكنه ضحك مؤكداً أن الضابط البريطانى قد مات وأخطرت الحكومة المصرية بذلك .. وهم يبحثون ـ الآن ـ كيف مات هذا الشاب الذى كان يتمتع بصحة جيدة .. حتى ظنوا أنه شرب شيئاً

ساماً .. مما اضطر البوليس الحربى الانجليزى إلى نزول مدينة السويس وتحليل « عينات » من معظم محال الخمور بها .. لكنهم - بالطبع - لم يجدوا شيئاً .

وقد أبلغنا أن مولانا الملك لا تهمه الطريقة بل النتيجة .. وسوف يقنعه الدكتور «يوسف» والسيدة « ناهد » بأنه لا داعى لأن يعرض مولانا نفسه للخطر بركوب « العربة السوداء » ؟؟

كان الليل ساكناً .. والظلام ثقيلاً يسربل شاطىء النيل من جهة الزمالك فلا يبين .. حين تحركت ومعى « خالد فوزى » ناحية « العوامة ٨٠ » لنقطع جميع الحبال والسلاسل التى تشدها إلى الشاطىء .. واندفعت العوامة إلى داخل النهر .. ليجرفها التيار إلى وسطه جامحة تجاه الشمال .. ولفت ما حدث انتباه أحد سكان « عوامة » قريبة فصرخ فى ذهول .. وتجمع الناس يتصايحون .. وحضرت قوات البوليس على الفور .. وتحركت زوارق تحاول إعادة « العوامة » إلى مربضها على الشاطىء .. لكنها لم تتمكن لعدم وجود حبال وسلاسل متصلة بالعوامة فأحضرت «المطافىء » حبالها وأمكن إيقاف « العوامة » فى اللحظة الأخيرة قبل أن تصطدم بقاعدة أحد الكبارى كانت تقترب منه بسرعة التيار .

وتم إخلاء « العوامة » من سكانها بمعرفة قوات البوليس والمطافىء أمام الأهالى المتجمعين على الشاطىء .. وكان بينهم واحد من أخطر زعماء مصر ذوى الحول والطول وفى الوقت نفسه من أغنى الإقطاعيين .. مع زوجة زعيم آخر لا يقل خطورة .. وعثر على بعض المخدرات داخل « العوامة » لكن ألقى بها فى النيل تداركاً لهول ما قد يحدث .

وكانت فضيحة بجلاجل .

سر الملك كثيراً .. لهذه اللطمة التى وجهها الحرس الحديدى إلى واحد من زعماء حزب معاد يدس له عند الإنجليز !

وذات ليلة .. كنت فى زيارة بعض الأصدقاء بشارع حشمت بالزمالك .. وأثناء اتجاهى إلى مدخل « الفيلا » .. فوجئت بسيدة خطيرة الشأن - فى ذلك الوقت - تهبط درج سلم إحدى « الفيلات » المواجهة .. وعندما سألت عن قاطن هذه الفيلا اتضح أنه انجليزى الجنسية .. وكان هذا - فى حد ذاته - دليلاً قاطعاً على الخيانة .

وأخطرت الحرس الحديدى بما رأيت لتكون هذه الخائنة أول سيدة نقتلها .. واجتمعت المحكمة الوطنية للحرس الحديدى .. وكنت ممثل الادعاء وتمكنت من الحصول من الزملاء على حكم بإعدام تلك السيدة على ألا يتم التنفيذ قبل أن يحضر الملك من الاسكندرية ويوافق على ذلك .. وكان الدكتور « يوسف رشاد » يرافقه .. لكننى صممت على قتلها .

ولأنه من غير الممكن تنفيذ أسلوب القتل الفنى معها .. لصعوبة مقابلتها فى مكان يسمح بوخزها بالإبرة المسممة .. فقد قمت أنا و« خالد فوزى » باستعمال سيارتينا فى مراقبتها .

وانتظرنا أمام « الفيلا » الخاصة بالرجل الإنجليزى بالزمالك ، واستمرت المراقبة لمدة ثلاث ليالٍ دون جدوى .. حتى بدأ الملل يتسرب إلينا .

وفى الليلة الرابعة .. ظهرت السيدة قادمة فى عربة رمادية صغيرة .. ودخلت « الفيلا » الموعودة .

وطلبت من « خالد فوزى » أن يحمى ظهرى لأننى سأدخل « الفيلا » وأقتل جميع من فيها ـ أجانب وغير أجانب من الجنسين ـ وفوجئت به يرفض بحجة احتمال أن تكون هذه السيدة مظلومة .. وأن حبى للملك أعمانى ودفعنى للتسرع .. ثم تركنى وغادر المكان .

وأسقط فى يدى فتركت المكان وذهبت أنا أيضاً .. وبعد مدة .. ظهرت نتيجة هذه المؤامرة .. وجن جنون الملك .. لأن السيدة كانت قد انضمت للانجليز وأفشت لهم جميع أسرار الملك الخاصة التى لا يعرفها سواها .. بل وصلت هذه الأسرار إلى اليهود .. فإذا بها تنشر فى أوروبا والبلاد العربية .

وزاد جنون الملك عندما علم أن هذه السيدة كانت تتصل بالإنجليز « على المكشوف » تحت بصر حرسه الحديدى (!!) وعندما طلب أحد ضباط الحرس قتلها تقاعس باقى الضباط .. وازداد الملك اقتناعاً بفكرة حل الحرس الحديدى .. الذى يكلفه الكثير بلا طائل أو عائد .

وقد عرفت فيما بعد أنه عندما سأل الملك عمن منع قتل هذه السيدة ؟ قيل له إن « سيد جاد » رفض قتلها (!!) وعندما حاولت تصحيح هذه المعلومة .. كان الوقت قد فات .

الفصل الخامس

قنبلة مجهولة تنسف أسلحة الإنجليز

- ١ -

كان تعلقى بالمغامرات يجعل بعض العائلات ترفض طلبى للاقتران ببناتها .. عندما تنتابنى نوبة هدوء ورغبة فى الاستقرار .

وذات يوم اقتربت منى مضيفة طيران أجنبية وعلى شفتيها القرنفليتين ابتسامة مسكرة .. تسألنى عن ضابط اسمه « حسن فهمى عبد المجيد » .. ولما كان « حسن » قد تزوج منذ فترة قصيرة .. فقد انتهزت الفرصة ورحبت فى داخلى بهذه المغامرة .

واتصل الود بيننا بسرعة ، وفى إحدى المقابلات ذهبنا إلى شقة « خالد فوزى » التى كان يستأجرها فى حى مصر الجديدة .. وما إن تقابلا حتى اتضح أن بينهما معرفة قوية .. وشعرت بأن « خالد » بدأ يتغير وملامح الضيق تظهر على وجهه .. وبأننى - أيضاً - بدأت أفقد صديقاً مهما فى الحرس الحديدى .

بعد ذلك أخذ « خالد فوزى » يتملص منى .. ويختلق الأعذار لكيلا أزوره .. إلى أن انتهت الصداقة بيننا ، وشعرت بعزلة شديدة .. مما دفعنى إلى الذهاب لزيارته .. وقبل أن أطرق باب الشقة سمعته يضحك بصوت مرتفع مختلطاً بصوت المضيفة الأجنبية .. وألصقت أذنى بالباب فتمكنت من سماعها جيداً وهى تقول بلهجة ممزوجة بالحب والخلاعة : إن هذا المغفل سيد جاد يظن أننى أحبه .. إنه وحش فى صورة إنسان .. كيف تجده أنت يا خالد ؟ .

ولم يرد عليها .. فعرفت أنه مازال يقدرنى بعض الشىء .. وأدركت أن هناك شيئاً غير طبيعى .. فتوجهت إلى المطار فى الحال واستفسرت عن هذه المضيفة . فاتضح أنها بولندية .. وقد طلبت نقلها إلى هذه الرحلات التى تمر بالقاهرة ذهاباً وإياباً .

وعندما استفسرت عنها فى السفارة التى تتبعها تبين أنهم لم يعرفوا عنها شيئاً .. حتى البوليس السياسى اتضح ـ أيضاً ـ أنه لا يعلم عنها أى شىء .

ولم أيأس وظللت أحوم حول أخبارها إلى أن علمت أنها يهودية .. وحملت هذا التقرير وذهبت به لخالد فوزى الذى انفعل بشدة عندما عرف جنسيتها ووافق على قتلها فوراً .. لكنها كانت أكثر منا ذكاء .. فقبل أن ننفذ ما اعتزمناه .. تركت البلاد ولم نرها بعد ذلك .. وقد عرفنا ـ فيما بعد ـ أن شركات الطيران تعد بمثابة مراكز جاسوسية .. وتستخدم المضيفات فى الحصول على المعلومات .. التى قد تصل إلى المجالات العسكرية الخطيرة .. فهذه المرأة تمكنت بسهولة من « اللعب » بثلاثة ضباط من الحرس الحديدى المخيف والحصول على قدر كبير من المعلومات التى تريدها .. ولولا المصادفة البحتة لما كنا علمنا عنها شيئاً .. وما انكشف أمرها .

وتحققت من أن الصهيونيين أفَاعٍ مخيفة بيننا جميعنا مكشوفون أمامهم !

نما إلى علم بعض ذوى النفوذ أن هناك صلة نسّائية غير مرغوب فيها بين إحدى سيدات الأسرة الحاكمة وضابط بالحرس الحديدى .. وأوصلوا ـ بدورهم ـ الأمر للملك . فرفض تصديقه إلا إذا كان هناك دليل مادى قاطع .

وصدرت الأوامر بأن يقبض على متلبساً بهذه الصلة الغريبة . وبسبب الغرور القاتل الذى كنت أتمتع به فى ذلك الحين لم أهتم ـ إطلاقاً ـ بما سمعت من أمر القبض على .

وفى إحدى الليالى المقمرة .. كان محراب لقاء الحب إحدى « فراندات » طريق مصر ـ الاسكندرية الصحراوى .. كنت قادماً من القاهرة ، ودخلت الحديقة بناء على اتفاق سابق بيننا .. وما إن رأيت « الفراندة » وقد جلست بداخلها فتاة الأحلام .. ومن حولها الياسمين الأبيض المتسلق يحيط بالفراندة كإطار بديع .. حتى نسيت ـ تماماً ـ وتبخر من عقلى إنذار من إحدى سيدات القصر يحذرنى من هذه العلاقة .

ولمحتنى الفتاة فتناولت من شعرها الأسود الفاحم وردة حمراء ألقت بها فالتقطْتُها بشغف وحب شديدين .. ثم تسلقت صاعداً إلى الفراندة واندفعت إلى الفتاة أضمها بين ذراعى .. ولم نشعر بهؤلاء الرجال الذين تسللوا إلى الحديقة ، والتفوا حول « الفراندة »

كطوق محكم لا يلين .. ولولا صوت « طقطقة » خفيفة لشجرة ياسمين .. لانتهت حياتى تماماً فى تلك اللحظة .. فقد كانوا خمسة من الرجال الأشداء يمسكون فى أيديهم بسكاكين كمن كلفوا بذبح فريسة أو كبش فداء .. وبسرعة رد الفعل بادرت بإطلاق الرصاص من مسدسى عليهم .. فسقط اثنان صريعين وأصابت الثالث رصاصة فى ذراعه فصرخ ، وأخذ يعدو إلى خارج الحديقة .. وأسرع الإثنان الباقيان خلفه .. لكن صوت إطلاق الرصاص جمع الخفراء والجيران .. فأعطيت المسدس « المدنى » الذى كان معى للفتاة .. وقلت لهم ربما أنهم كانوا يريدون إثبات وجودى عندك .. فاصرخى واعترفى بأنك أطلقت النار على هؤلاء اللصوص الذين جاءوا لسرقة « الفيلا » .

ولما كانت الفتاة رياضية تمتاز بعود صلب فلن يستغرب منها أن تفعل هذا .. أما أنا فسأختفى داخل « الفيلا » حتى تحضر النيابة والبوليس للمعاينة .. ثم أذهب دون أن يشعر بى أحد .

وهذا ما حدث بالضبط .

وبعد ذلك .. علمت من الدكتور « يوسف رشاد » أن هذه الواقعة تسببت فى طرد «إبراهيم إمام بك » من الخدمة نتيجة لفشل العملية .

بعدها بفترة قصيرة طلب منى « محمود البدينى » أحد ضباط البوليس وصديق شخصى لأخى الأكبر .. أن أحاول مقابلة اللواء « سليم زكى » حكمدار العاصمة ، وأشرح له موقفى بخصوص مسألة « رضا عبد الحميد » النصاب العالمى الذى تمكن من الدخول فى مغامرات كبيرة .. وكنت أنا صديقاً لأولاده .

وفهمت أن مسألة النصاب ليست سوى ذريعة ليتمكن « سليم زكى باشا » من رؤيتى بعد أن تمكنت من قتل اثنين من رجاله وإصابة آخر .

وخرجت من المفاجأة سالماً وبعد فترة تقدمت لخطبة إحدى قريباته .. لكن سيادته رفض تماماً .

حاولت أن أقنع الحرس الحديدى بالتدخل لكى نرد الصاع صاعين .. لكن الضباط

وقفوا فى وجهى معلنين أنها مسألة شخصية يمكنني فيها أن أثأر لنفسى .. فأكدت لهم أننى لم أكن المقصود لشخصى .. بل كان الحرس الحديدى هو المستهدف . لكنهم رفضوا وجهة نظرى بشدة .. وكان منطقهم أن مغامراتى النسائية المتعددة تسبب لهم مشاكل هم فى غنى عنها .. ولابد من إيقاف هذه المغامرات إذا كنت أريد مواصلة السير فى الطريق الوطنى العام .

ونعود إلى « سليم باشا زكى » .. فعندما ذهبت لمقابلته .. بادرنى بشكل هجومى قائلاً : على حسنين يتهمك بأنك ضابط الحرس الحديدى الذى يدبر جرائم معينة .

ولم أجبه .. بل سألته : هل هو استجواب رسمى أم غير رسمى (؟) وإذا كان رسمياً فليس هذا مكانه !

ولأنه لم يكن يتوقع الرد .. فقد احتد فى كلامه رغم أنه كان معروفاً بالهدوء .. ومن ذلك النوع الذى لا يفقد سيطرته على نفسه بسهولة .. قال الرجل : أنت ستجيب فقط وإلا .. ثم سكت . فقلت له بمنتهى الهدوء : لقد طلب منى أن أقابلكم بشأن مسألة « رضا عبدالحميد» ، لكن سيادتكم تحقق معى الآن .. وكما أعلم فالنيابة لم تتنازل ـ بعد ـ عن سلطتها لأحد .

فابتسم قائلاً : واضح أنك دارس قانون .. لكنى ـ الآن ـ أسألك بصفتى غير الرسمية : هل أنت من الحرس الحديدى ؟

أجبته بثبات : نعم يا سعادة اللواء ولى الشرف أن أكون .

وظهرت علامات الدهشة واضحة على وجه الرجل ، وقال على الفور : هل ارتكبت جرائم .. (وراح يذكر بعض الأسماء) . قلت بهدوء : اننا نحرس مصر ونحرس الملك أيضاً ولانعتدى على أيهما .

فرد بشىء من التعجب : لكن المعلومات التى عندى تؤكد أنكم قتلة مجرمون !

فقلت على الفور : صحح معلوماتك يا باشا .

ولم أتكلم بعدها .. لكنه أردف قائلاً :

ماذا تعلم عن « رضا عبد الحميد » ؟!

قلت : رجل شديد الذكاء .. يستغل أخطاء الآخرين ويحولها إلى نقود يضعها فى جيبه .. وهو الآن يستولى على شقة بديعة فى أول حى مصر الجديدة بها حمام سباحة .

وسكت الباشا ثم قال : وإذا أخذت مبلغاً من المال فهل يمكنك أن توقع به ؟

فرددت بحزم : لا فهذا ليس من اختصاصى .

فعلق قائلاً : أنت أول « شحاذ » أقابله يدعى الكبرياء .. مع السلامة .

فنهضت من مكانى وأديت التحية العسكرية وخرجت غير غاضب لما جرى خلال المقابلة .

مرضت مرضاً شديداً لم أدر سبباً له .. وتمددت فى الفراش بين النوم واليقظة فى إحدى زوايا المستشفى العسكرى . وشعرت بحركة وصوت نسائى فى الغرفة وعندما استيقظت تماماً .. لم أجد أحداً حولى .. فاستفسرت عمن كان بجانبى لكنى ـ أيضاً ـ لم أجد إجابة شافية من أحد .. لكنى عندما أوشكت على الخروج من المستشفى وصلتنى قصاصة صغيرة تحتوى على بضع كلمات تحدد موعداً لى فى نادى الهليوليدو مساء يوم فى الأسبوع التالى .

فى الموعد المحدد .. ذهبت ومعى « خالد فوزى » ونزلت إلى حمام السباحة أضيع فيه بعض الوقت حتى يحل الظلام .. ثم خرجت أنتظر صاحبة الدعوة .. وجاءت ـ بعد لحظات ـ وهى ترتدى ملابس لا تسمح لنا بمعرفة ملامحها ، وطلبت منى أن نذهب خارج النادى .. فاعتذرت لخالد فوزى وانطلقنا فى سيارتى الـ « كروز موبيل » متوجهين كرغبتها إلى المعادى لأن هناك شيئاً لابد أن أراه فى « عين الصيرة » .

وفجأة كشفت عن تخفيها .. وأخبرتنى أنها من الفدائيات .. وقد اصطحبتنى لأرى وصلة للسكك الحديدية الشرقية للإنجليز عبارة عن خط فردى يسير فى هذه المناطق حتى ينتهى فى جنوب حلوان .. وهذه الوصلة تربط كل الخطوط الحديدية الانجليزية فى هذه المنطقة .. وبلا حراسة تقريباً .

ثم سرنا إلى مغامرات حلوان وهناك شاهدت الأسلحة والذخائر الخاصة بالجيش الإنجليزى متراكمة بكميات كبيرة .

وأسفرت هذه الزيارة عن نسف تلك الوصلة تماماً وتدمير بعض مستودعات ذخيرة الإنجليز فى هذه المغارات .

وذهبت إلى منزل الدكتور : « يوسف رشاد » لتلقى أوامر من السراى .. وأخطرته بما قمت به .. فضحك وقال : عندما نشرت الجرائد هذا الخبر .. أكد أغلب زملائك هنا أن هذا العمل لايقوم به الا « سيد جاد » .. فسألته عمن استنتج ذلك ؟ فقال : «مصطفى صدقى » .

وكان يهمنى أن أقوم بأعمال فدائية تظهر أخبارها فى الجرائد حتى يتأكد الملك أن أموال الفدائيين ـ التى يمدنى بها من آن لآخر ـ تأتى بفائدة .. رغم أنه لم يكن قد أرسل منذ فترة بأية مبالغ .. بينما كنا فى حاجة شديدة لشراء أدوات وأسلحة .

جرت معى أكثر من محاولة لجذبى بعيداً عن الحرس الحديدى .. أو استقطابى لتنظيم الضباط الأحرار .. فذات يوم كنت خارجاً من الجامعة وفوجئت بمصطفى كمال صدقى ينتظرنى فى عربته « الاستروين » الفرنسية .. وعندما اقتربت منه ، رحب بى وعرض على أن يوصلنى إلى أى مكان أريده بعد أن أخبرته بأن سيارتى ليست معى .. ووافقت ، وقفزت إلى جواره داخل السيارة .. ونظر إلى ساعته ، وهز رأسه ، وانطلق بنا .. طلبت منه أن يذهب بى إلى المعادى .. لكنه اتجه إلى شارع الهرم .. وقال بلهجة جادة للغاية .. إنه يريدنى فى أمر ما قبل أن أتأهب لمغامرة نسائية جديدة .. وسوف يقدم لى مغامرة أكبر .

ورغم أنى لم أكن أخشى منه عنفاً لأنه مسالم ولا يميل لسفك الدماء .. إلا أننى كنت مرتاباً فى ميوله .. إلى أن بلغنا الهرم وإذا به يقف تحت سفحه بطريقة مسرحية تاريخية .. وبدأ يتكلم مقسماً على أنه لايكرهنى كما أنه ـ أيضاً ـ لا يحبنى .. لكنه يود أن أكون معه ونتعهد على ذلك .. وبهذا سوف أصبح من أعز الناس إليه وأعظمهم .. ثم لاذ بالصمت برهة .

ولم تتبدد ريبتى فيه .. لكنه استمر فى كلامه قائلاً : إن الملك المجنون سيقود الوطن إلى

الدمار .. فهو جاهل أرعن ، ورغم كراهيته للانجليز إلا أنه يكره الجميع كذلك .. وينوى أن يفر تاركاً الوطن فى أسوأ حال .. ولم يعد يهتم إلا بالقهار والنساء .. ولابد أن نهاجمه فهو لم يعد يمثل قيمة لأحد .

وظللت صامتاً .. مما أثاره وجعله يصيح بصوت عال : هل أنت موافق أم غير موافق؟.

ثم انهال على بالشتائم .. لكنى لم أصدق ثورته وانفعاله ولم أفهم وجهة نظره آنذاك لأننى كنت متشككاً فى كل من حولى بسبب اغتيابهم لى ومحاولاتهم للايقاع بى فرددت بمنتهى البرود : هل تختبر ولائى للملك يا مصطفى يا صديقى (؟!) وما إن قلت هذا حتى انفجر فى ثورة غاضبة لم أعرفها عنه من قبل .. وأخذ يركل سيارته بقدميه ويديه ثم هجم على وراح يشدنى ـ بعنف ـ من القميص .

ولم أقاومه لأننى كنت أفوقه فى القوة الجسمانية ولم أجد هناك داع للتعارك ..

لكنه ثاب إلى نفسه وهدأ .. وراح يعتذر لى .. ثم لاذ بالصمت .. وأعادنى إلى المعادى دون أن نتبادل كلمة واحدة طول الطريق .

ولم أتحدث مع أحد من ضباط الحرس الحديدى حول هذا الموقف .. ورغم أنى ظننت أنه كان يختبر ولائى للملك إلا أن الأحداث أثبتت أنه كان جاداً فى هذه المرة .. وكان يطلب منى الانضمام تحت لواء فكرة جديدة ورأى جديد .

وفى مرة أخرى .. انفجر « مصطفى صدقى » فى حضور « ناهد رشاد » قائلاً : إنه من السهل قتل الملك بقنبلة زمنية تلقى على سيارته .

فكان ردى عليه : لا تقل هذا يا مصطفى .. إن قتل الملك ـ فى هذا الوقت ـ يضر بمصر، ويجعل الإنجليز يتدخلون لحماية مصالحهم ويحتلون القاهرة من جديد .

لكنه بدأ يطلق سيلاً جارفاً من الشتائم ، فتدخلت « ناهد رشاد » وحذرته منى بجدية لأننى أحب الملك .. واستمرت « ناهد هانم » فى تهدئة ثورته .. إلا أنه انفجر شاتماً مرة أخرى .. ولما كان قد زاد عن كل الحدود ولا يريد أن يكف .. فقد اقتربت منه وأهديته لكمة جعلته يلازم الفراش فترة من الزمن وبعدها جاءنى معتذراً .. وقبلت اعتذاره .

وعندما حضر الدكتور « يوسف رشاد » أخطرته بما حدث .. وقلت له إن « مصطفى صدقى » لا يصلح لأن يكون عضواً فى الحرس الحديدى .. لكنه صمت وظهرت عليه ملامح الجدية وقال إنه يظن أننا قتلنا صديقه «عبد القادر طـه » .. ومع ذلك ليس لنا دخل فى هذا الأمر . فالمجرم « على حسنين » هو المسئول .

ولما لم أكن أعرف من هو المدعو « على حسنين » فقد استفسرت عنه من الدكتور «يوسف رشاد » فقال إنه أحد الانتهازيين يريد أن يصطاد فى الماء العكر .. وهو يعمل على المراكب .. وقد عرفنا به « مصطفى صدقى » .

والغريب .. أنه بعد انقلاب ٢٣ يوليو .. ادعى هذا الرجل ـ أثناء التحقيق ـ أنه يعرفنى، ورغم أننى لم أقابله مطلقاً .. وقال إننى وآخرين الذين قمنا بقتل عبد القادر طـه «وذكر أسماءهم .. وعندما طلب منه المحقق أن يتعرف على شكلى من بعض الصور التى عرضت عليه .. وأشار ذلك الكذاب الملفق إلى صورة شخص غيرى .. وعندما ظهر للمحقق بهتان ما يدعى وأن الرجل لم يكن يعرفنى بتاتاً .. حفظ التحقيق .. وانتهت محاكمة « على حسنين » بحبسه .

ذات يوم .. وصلتنى اشارة تستدعينى إلى مباحث وزارة الداخلية .. فى « بدزوم » مبنى الوزارة بشارع الدواوين القريب من « لاظوغلى » .. وتوجهت إلى هناك فى التاسعة صباحاً .. فطلب منى أن أنتظر ضابط التحقيقات الذى لايعرف وقت وصوله بالضبط .. وظللت منتظراً حتى الواحدة ظهراً .. ثم طلب منى ـ بأدب ـ أن أحضر مرة أخرى ، فى السابعة مساء .. وحضرت فى الموعد المحدد .. وانتظرت حتى الحادية عشرة مساء .

وتكرر الموقف فى اليوم التالى .. والثالث ، وهكذا حتى مر أكثر من عشرة أيام .. وكانوا يتصورون أن هذا الأسلوب قد يؤثر على أعصابى .. لكننى لم أعر الأمر أى اهتمام .. بل كنت أحضر معى مجموعة من كتب القانون .. أطالعها باهتمام بالغ واستغراق كامل أثناء فترات انتظارى .

وعندما تقرر استجوابى .. سئلت بعض الأسئلة الشخصية .. حول غرضى من إنشاء الطريقة الصوفية الحربية . وماذا أقصد منها (؟!) ولما أخبرتهم .. اكتفوا بتحقيق صورى .

وانتهى ترددى عليهم .. لكنى كنت أشعر بأنهم يراقبوننى باهتمام فى كل مكان أذهب إليه .. لاسيما أن الملك بدأ يضعف شأنه وحركة الفدائيين تتزايد .

هنا .. بدأ رجال الحرس الحديدى يتقربون إلى الضباط الأحرار .. وطلب منى « خالد فوزى » و « جمال منصور » أن أقطع صلتى بالسراى نهائياً .. وأن أقاوم نفوذ الملك .. وأتحول إلى معول من معاول الهدم .. لأن النهاية تقترب وحركة الجيش على وشك البدء .

وتقريباً .. كان أغلب الضباط الذين يعملون بالسياسة ، أو يهتمون بالعمل الوطنى ، على علم بكل شىء .. بل كانت مجموعة كبيرة منهم تتوقع انقلاب الجيش بين يوم وليلية .

لكنى ـ بكل تصميم ـ رفضت أن أخون هذا الملك الذى أحببته .. وأنا أعلم ـ تمام العلم ـ أنه لاهٍ عن الجميع .. لكنه الثبات على المبدأ .. دون أن أترك السفينة حتى وهى على وشك الغرق .

فاجأنا « حسن فهمى عبد الحميد » باقتراحه العودة إلى تنظيم الضباط الأحرار .. لأن الملك لم يعد فى حاجة إلينا .. وإذا لم نعد إلى التنظيم فسوف يشكون فى إخلاصنا للوطن والجيش .. وعندما تتم الحركة الكبرى سيكون موقفنا بالغ السوء .

وتدخل « خالد فوزى » قائلاً : إن الأمر أوشك ، وأنه سيخطرنا فى الموعد المناسب حتى نتدخل جميعاً ونساعد الضباط الأحرار فيما سيقومون به .. وأكد أن « كمال الدين حسين » قد وعده بهذا ، وبذلك سيكون لكل منا ظهر يحميه من الفراغ الذى سينشأ بعد فرار الملك.

ودهشت .. وقلت : هل وصل الأمر بالملك إلى حد الفرار ؟!

رد « خالد فوزى » مؤكداً أن الملك ليس أمامه غير ذلك .. إلا إذا كانوا يريدون محاكمته .. ثم أضاف موجهاً الكلام لى : أنا أطلب منك يا سيد جاد أن يكون لك صديق من الضباط الأحرار .. لأنك ظهرت بطريقة مخيفة .. وأفضل لك أن تنزوى من الآن .. وهناك فرصة عظيمة لك .

قلت مستفهماً : أية فرصة هذه ؟

أجاب « خالد فوزى » : إن « محمد نجيب » يحبنى وهو دائم السؤال عنى .. ويمكننى أن أحتمى به .

فقلت : وأنا ـ أيضاً ـ أحبه لكن هل أنت متأكد من فرار الملك ؟

رد « خالد فوزى » : إن الملك أتلفته مائدة القمار وفراش النساء .. ولم يعد يصلح ملكاً لمصر .. لاسيما فى هذه الآونة .

ووجدتنى ـ للأسف ـ أوافق على هذا الرأى لأن الملك ترك « الحبل على الغارب » للمحيطين به .. وهؤلاء لم يكونوا مخلصين إلا لأنفسهم بينما سئم هو كل شىء .. وتساءلت: لماذا لا نتفاهم مع الملك ونعيده إلى الصواب ؟

فصاح « مصطفى صدقى » اعترف يا سيد يا جاد بأنك تريد أن تشى بنا للملك .. أليس هذا ما تريد أن تقوله بطريقة مهذبة ؟

فرددت على الفور : إلزم حدودك يا مصطفى .. وإلا لن أتركك هذه المرة إلا وأنت قتيل .

وما إن نطقت بهذه الكلمات حتى رأيته يرفع المسدس فى وجهى صائحاً : بل أنا الذى سأقتلك هذه المرة .

وتدخل « خالد فوزى » وأخذ منه المسدس .. أما أنا فلم يهتز فى رأسى شعرة .. لأننى أعرف ـ تماماً ـ أنه غير مقاتل .. ومدى علمى أنه لم يقتل أحداً من قبل .. وأنه كان مجرد تمثيل فى تمثيل !

وقلت : لو كنت أريد الابلاغ ـ يا مصطفى ـ لكنت فعلت منذ زمن .. لكن الذى يحدث ـ للأسف ـ أن بلاغات كيدية ضدى تصل ـ يومياً ـ إلى السراى وغيرها .

فسألنى « خالد فوزى » عمن يقوم بإرسال هذه البلاغات ؟

قلت بمنتهى الصراحة : أنه الكونستابل « عبد الله صادق » .

ورد الجالسون فى صوت واحد : هذا غير معقول .

فقلت : إنى متأكد .. لأنه يريد أن ينفرد بالغنيمة .. وهو يكره ضباط الجيش .

وسألونى عن الحل الذى أراه ؟

فقلت : نطلب من « يوسف رشاد » إبعاده عنا بأية وسيلة .. بل يمنع من الجلوس معنا إطلاقاً .. حتى لا يعرف اتجاهاتنا .

ورد « يوسف حبيب » قائلاً : انكم بهذا الشكل ستفشلون .. وبصفتى أقدمكم جميعاً .. آمركم بأن تتركوا هذه الأمور الفرعية .. وأن تهتموا بالبلد « المسكينة » التى تئن بسبب الاختلافات بين الوطنيين .

وذات يوم .. أبلغنى « حسن فهمى عبد الحميد » بأن « يوسف رشاد » يريد مقابلتى فى بيته للأهمية ..

سألته : هل ذلك اجتماع عادى لنا جميعاً (؟!) .

فقال : إنه يطلبنى أنا ـ فقط ـ وسوف يتم سؤالى فى حضور « مرتضى المراغى » عن أشياء لا يعرفها .. لكنه سمعهما يتكلمان فى هذا الشأن .. وطلب منى أن أكون حذراً لأن «مرتضى المراغى » لا يكن لى حباً .

وفى المساء .. ذهبت إلى منزل الدكتور .. لكننى لم أجد عنده أحداً .. وعندما رآنى «دخل فى الموضوع» مباشرة .. وكانت هذه عادته : لا يلف ولا يدور .

وبادرنى بقوله : اسمع يا سيد .. نحن نعرف أن لك أصدقاء ممن يسمون أنفسهم بالاحرار ، ولابد من اخطارنا بأسمائهم .. فقد استحفل أمرهم .

قلت متجاهلاً : أحرار ؟! .. ما معنى هذه الكلمة .. هل يوجد ضباط عبيد وآخرون أحرار ؟

فقال الرجل : لا داعى للاستعباط يا حضرة الضابط . لابد من إخطارنا بأسماء من تعرفهم من هؤلاء الضباط .

أجبت : إن كل الضباط أحرار .. أما إذا كنت تقصد تشكيلاً أو تجمعاً تحت هذا الاسم

فأنا لا أعلم عنه شيئاً .. وهنا دخل « مرتضى المراغى » متجهم الوجه .. وكان واضحاً أنه سمع الحديث الذى دار .. فألقى التحية ببرود وقال : يا حضرة اليوزباشى لابد أن تخبرنا بأسماء من تعرف من الضباط الأحرار .

سألته : ولماذا أنا ـ بالذات ـ تخصوننى بهذا السؤال ؟!

رد الوزير « المراغى » : لقد أثبتت جميع تحريات وزارة الداخلية أنك على اتصال واسع بنوعيات واتجاهات مختلفة من الضباط .. ومن الخير لك أن تخبرنا بأسمائهم .. وإلا وجدت نفسك ـ ذات يوم ـ تحت طائلة المسئولية .. وفى موقف لن يحسدك عليه أحد ..

وعدت أقول : إذا كان الأمر بهذه الدرجة من الخطورة .. فلماذا لم تخطرونى قبلاً (؟!) عموماً لو أعطيت فرصة واسعة .. فسأخطركم بأسماء هؤلاء الضباط جميعاً .

وظهرت علامات الارتياح على وجه الوزير .. ومنحنى مهلة إلى نهاية الأسبوع .. وتواعدنا على هذا ، وتركتهما عائداً إلى حيث كان ينتظرنى « خالد فوزى » ليعرف ماذا يريد منى وزير الداخلية ..

وحكيت له ما جرى .. فسألنى ماذا سأفعل ؟ قلت : سوف أعطيهم أسماء جميع الضباط الأحرار .

وضحك « خالد فوزى » .. فهو يعرفنى جيداً .. لكنه سألنى عما أعنيه بهذا الكلام ؟ .

قلت : لو أنى رفضت فسأصبح عدواً « على المكشوف » .. لكنى سأعطيهم أسماء الضباط المعروفين بميولهم الشيوعية فى الجيش .. وأسماء بعض الخاملين الذين لايهمهم سوى راتب أول الشهر .. وبذلك سأثبت لهم أنى مخلص .. وفى الوقت نفسه سيدخلون متاهة لاطائل منها .. وبالتالى نبعد الشبهات التى أثيرت حول اللواء « محمد نجيب » ومن حوله .

وجدت الفكرة استجابة فورية لدى « خالد فوزى » .. ورحنا نبحث عن أسماء الضباط الذين كنا نتقابل معهم أثناء تعاملنا مع « يوسف منصور صديق » وأضفنا إليهم اسماء بعض الضباط ذوى السمعة السيئة من غير خريجى الكلية الحربية .. والذين جاءوا عن طريق الوساطات والأبواب الخلفية .

وما أن اكتمل لدينا عدد كبير من تلك الأسماء حتى أعطيتها للدكتور « يوسف رشاد » فأخذها شاكراً .

الغريب أننى سئلت من بعض الضباط الأحرار ـ فى هذا الوقت نفسه ـ عن أسماء الضباط الذين ينتمون إلى الحرس الحديدى الملكى .. فرفضت ـ تماماً ـ أن أمدهم بأى اسم!! .

ذات ليلة .. كأنت هموم الدنيا تركب رأسى .. فقد أصبحت أعانى من حالة فقر شديد.. لولا رسوخ أخلاقى وصلابة عودى للجأت إلى طريقة أتكسب بها مبالغ من المال .

ووجدتنى أستقل عربتى المتواضعة وأتجه بها إلى قريتى .. وأمام قرية اسمها « المساندة » قبيل مدينة « العياط » توقفت بسيارتى « الكروز موبيل » عن الحركة تماماً .. ورغم كل محاولاتى لاصلاحها إلا أنها رفضت أن تتحرك شبراً واحداً .. ولما يئست منها وقفت فى عرض الشارع أنتظر نجدة تأخذ العربة البائسة إلى « العياط » .

وطال وقوفى حتى توقفت سيارة كبيرة فاخرة بجوارى تماماً .. لكنها كانت متجهة إلى القاهرة .. ومع ذلك أبدى صاحبها كل استعداده للعودة مرة أخرى لتوصيلى .. ولم يكن أمامى غير أن أقبل وكلى خجل .. بعد أن ترك أحد رجاله ليحرس سيارتى .

وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث وتبين أنه يملك عدداً من حدائق الموالح ، وكان فى طريقه إلى سوق الخضار بالقاهرة .. لتصريف إنتاج حدائقه مع تجار الجملة .. ولما عرف أن لى شقيقة متزوجة فى مدينة « المتانيا » ـ حيث يقطن هو ـ عرض على أن يوصلنى حتى بيتها.. ولم يكن أمامى أى حل آخر .. لأن زوج أختى سيتولى مهمة نقل عربتى من موقعها .

وفى الطريق الزراعى .. وأمام محطة « المتانيا » عبرنا مزلقان السكة الحديد .. ثم اجتزنا الكوبرى الكبير .. وبعد أن اتجهنا شمالاً لمسافة متوسطة .. طالعنا قصر عظيم تحيط به حديقة كبيرة .. واندفعت العربة من الباب الحديدى الضخم ثم وقفت أمام السلم الرخامى الريفى للقصر .. وفهمت من غمغمة الخدم أن مضيفى يحمل لقب « باشا » .

وصعدنا إلى ديوان فاخر ، وبعد قليل دخل علينا زوج أختى « محمد عطية »* بعد أن ذهبت سيارة الباشا « اللنكولن » الصفراء وأحضره سائقها على الفور .. وأبلغنى زوج أختى بأن سيارتى يتم سحبها الآن وسوف يعمل على أن يتم إصلاحها باكر صباحاً ..

وعندما هممت بالانصراف .. رفض « الباشا » أن نغادر القصر إلا بعد العشاء .

وأثناء تناوله .. عرف أننى ضابط فى الجيش المصرى .. فلمعت عيناه ببريق السرور .. وقبل انصرافى إلى منزل شقيقتى طلب « الباشا » ضرورة حضورى لزيارته مرة ثانية .. وشدد على ذلك .

وتطورت علاقتى بالباشا .. وتكررت الزيارات المتبادلة .. وذات يوم ، عرض على الزواج من ابنته ـ سيئة الحظ ـ التى تم طلاقها منذ أسابيع قليلة .. عرض الرجل على هذا بصورة أبوية ليس فيها أى مساس بكرامته .. ولم أرفض ولم أقبل .. بل جعلت الأمر معلقاً .. لأننى أحسست بأن هناك شيئاً ما فى عقل « الباشا » .

وفى مرة أخرى .. عرض على مبلغاً كبيراً من المال أدبر به شئونى إلى أن تتحسن الأحوال، بعد أن علم ـ بالصدفة ـ أننى أواجه صعوبات مالية بعت بسببها قيراطين من أرض عزبتى التى تقلصت مساحتها كثيراً .. لكننى شكرته وأعدت إليه النقود .

وفى مساء اليوم نفسه .. فوجئت بحديث « الباشا » يأخذ اتجاهاً غريباً فبعد مقدمات طويلة وصل ـ فى كلامه ـ إلى ضرورة التخلص من الملك فاروق بقتله .. وقال إنه يمكن أن يتم هذا بسهولة بواسطة ضابط فى الجيش .

ولم أرد لحظتها .. بل التزمت السكوت حتى أصل إلى قرار « الباشا » الذى بدأ يعرض الزواج من ابنته الجميلة الثرية ، وانتهى بطلب اغتيال ملك مصر والسودان !!

بعد أن أعملت الفكر طويلاً .. وصلت إلى قرار مؤداه أن أبتعد عن طريق ذلك «الباشا » وأنسى الأمر كله .

---

* محمد عطية .. وهو والد محمد عطية عضو مجلس الشعب عن الحزب الوطنى . وله ابنة استاذة فى مادة الكيمياء .

لكن ذات يوم .. جاء رسول من طرف شقيقتى يبلغنى بأنها تطلبنى للأهمية .. وعندما وصلت .. إذا بها تلقى بقنبلة فى حجرى .. بأن ابنة الباشا تريدنى أن أمر بالقصر . وهذا السلوك بمقاييس ذلك الزمن وبالنسبة لتلك الأسرة .. يعد خروجاً على كل التقاليد والأعراف .. أما بالنسبة لى فهو شرف أكبر من مقابلة ملكة .. لأنهم أناس محافظون إلى حد الصرامة ، وفى الوقت نفسه .. فإن أسرتها من أعظم الأسر فى مصر .

وامتثلت لرغبة كريمة « الباشا » .. التى تريد رؤيتى .. وتوجهت إلى القصر .. ولم تمض لحظات حتى حضرت مضيفتى .. وإذا بسيدة على قدر فائق من الجمال التركى الأخاذ .. الذى لا يمكن مقاومته .. بل تملك قدراً كبيراً من الجاذبية المتفجرة التى تسحر الألباب وتخلب العقول .. وعاملتها كأميرة .. وهى ـ بالفعل ـ أميرة .. فهى ترث عن أمها أكثر من الألف فدان .. هى ـ إذن ـ إقطاعية ذات شأن .. ولها سمعة فى غاية الكمال والشرف ..

وبدأت ابنة « الباشا » حديثها معى بجرأة تحسد عليها .. فقد تلقت تعليمها فى إحدى المدارس الراقية بمصر وقبلها سافرت إلى أوربا .. قلت لها : أنت ـ إذن ـ تريدين أن ترى الرجل الذى رفضك كزوجة ؟

ودهشت للغاية .. فلم تتوقع كل هذه الجرأة منى .. فقلت بتواضع واضح : لا يوجد رجل فى العالم يرفض شرف الزواج منك لكن عرض الزواج قدم من خلال هدف يجب تنفيذه حتى تتم « الصفقة » المالية والعائلية .

وظهر غضب عاصف على ملامح وجهها النبيل .. وطلبت تفسيراً لما أقول .. فشرحت لها كل ما دار بينى وبين والدها « الباشا » ..

فنهضت السيدة شبه مذهولة .. معلنة اعتذارها عن عرض ابيها وخرجت .

وبعد ساعات قليلة جاء من يخبرنى بأن « الباشا » يطلب حضورى إذا كان بوقتى متسع .. وذهبت إليه .

وبعد حديث عاطفى أبوى تكلم « الباشا » عن مأساته مع الملك والحرس الحديدى الذى قتل ابنه الوحيد .. قبل أن ألتحق أنا به :

وتعجبت .. لأنه كان واضحاً أن « الباشا » لايزال صغير السن .. أمام مغامرات الملك وألاعيب الحكم .. لكن الرجل شرح لى كيف أن الحرس الحديدى نسف قصراً لتأديب صاحبه الذى يجهر بعدائه للملك .. فسقطت قطعة كبيرة من الحجارة على رأس ابنه الوحيد ـ الذى تصادف مروره بالقرب من ذلك القصر ـ فقتل .

وأقسم « الباشا » على الانتقام من قاتل ابنه الصغير .. وقال إنه يعرف جميع ضباط الحرس الحديدى الذين شاركوا فى تلك العملية ، وكان يمكنه أن يقتلهم فرداً فرداً .. لكنه يعلم أنهم ليسوا أكثر من أدوات فى يد الملك .

وراح « الباشا » ينظر إلى بتأمل شديد وقد اغرورقت عيناه بدموع التأثر لذكر ابنه .. فقلت له بمنتهى التؤدة : إننى لا أستطيع أن أحقق أمله فى كراهية الملك .. لأننى لا أستطيع أن أتحلل من قسم الإخلاص الذى أقسمته للملك . وهممت بالانصراف فإذا بالرجل يمسك يدى بقوة ويمنعنى من الخروج معلنا أنه سيقوم ـ ورجاله ـ بالتنفيذ .. والمطلوب منى ـ فقط ـ أن أبلغه بتحركات الملك .. فرفضت ـ تماماً ـ وصممت على الخروج من قصر « الباشا » .. فوقف الرجل فى مواجهتى ثم ألقى بكلمته الأخيرة .. وأبلغنى بأن ابنته طلبت منه إخبارى بأنها ستوافق إذا تقدمت لها بطلب الخطوبة .. وأكد لى أنه لا علاقة لهذا بما يطلب منى ..

وتركنى وخرج .

ورغم أن ظروفى المالية لم تكن تسمح بزواجى .. إلا أننى صممت على الرفض .. وأبلغت شقيقتى بأن تطلب من ابنة الباشا الحضور إلى منزلها حتى تسمع رأيى الأخير ..

وحضرت السيدة إلى منزل شقيقتى يحفها جلال نبيل ، ووقار لا يقاوم .. فرحت أخاطبها كتلميذ خائب يلقى بقصيدة لم يستوعبها .. قلت لها إن حياتى قطعة من جهنم ، وأفعالى لا ترضى إبليس نفسه .. بينما هى أميرة وملكة من ملكات الجمال والمال والحسب.. وستزهد عشرتى لطبيعتى المغامرة .

وبعد أن انتهت المقابلة .. لاحظت وأنا أحييها .. إمارات الحزن تبدو على محياها .. وقبل أن أغادر الغرفة استوقفتنى قائلة : أريد أن أبلغك بأمر هام هل «........» من

الحرس الحديدى ؟ فكان ردى عليها بالإيجاب .. فقالت إنه باع الملك وباعك وباع باقى الضباط .. احترس منه لأنه فى منتهى الخطورة .. وأضافت أن هذا الضابط قبض من والدها ـ بل من عدة جهات ـ مبالغ طائلة .

وخرجت من الغرفة وتركتنى وحيداً أفكر فى ذلك الخائن الذى يعلن ولاءه للملك فى كل لحظة .. ومع ذلك يبيع شرفه بحفنة من المال !

وبعد أن أخطرت ضباط الحرس الحديدى بأمره .. وكيف نتركه يتمتع بثروة الخيانة ولابد أن ننزل به العقاب الذى يستحقه فى هذه الحالة .. لكنهم طلبوا مهلة للتأكد .. فجاءت كل الحقائق مؤكدة لما قلته .. ولم يكن هناك بد من إنزال العقاب المحتم بذلك الخائن .

الفصل السادس

الانجليز أحرقوا القاهرة
ليستحيل جلاؤهم عن مصر

كانت مفتريات اليهود فى تلك الفترة لا حدود لها لينالوا من سمعة الملك ويشككوا فيه ملكاً وقد كان هو فريسة سهلة اعتماداً على أفعاله التى كانت ظاهرة على الملأ .. وقد كانوا يستغلون كل موقف للتشهير به وبأسرته ، لم نكن نعرف أن هذه الحادثة سوف تضعنا فى موقف يسمح لنا بحماية شرف المملكة حتى ولو كانت فرية يهودية . وقد كنت ـ ومعى «خالد فوزى » ـ نلبى دائماً دعوات إحدى وصيفات الملكة الأم وتدعى «بهرجول » ولم نكن نعرف سبباً لإسرافها فى إكرامنا .. بينما نلمح فى عينيها ـ فى الوقت نفسه ـ طيف خوف وريبة كلما التقت نظراتنا بها كأنها تحاول أن تلفت انتباهنا إلى شىء ما أو كما يقول المثل .. كاد المريب أن يقول « خذونى » .

أثارنى هذا ، وشاركنى فيه « خالد فوزى » .. وقد حاولنا معها ـ مراراً ـ أن نعرف سبب خوفها منا ـ وهى عجوز كريمة وشريفة إلى أقصى حد ـ ولكنها رفضت أن تقدم لنا أى تفسير .. بل نفت شعورها بالخوف منا أصلاً .

ولم يكن أمامنا غير أن نتسلل إلى منزلها فى الظلام .. ونحاول أن نهددها ونخيرها بين الموت أو البوح لنا بسرها المدفون فى القلب .. ورغم كبر سنها فقد حاولت أن تتملص منا بشتى الحيل والأعذار .. لكننا صممنا على ما نريد .

ورضخت أخيراً .. وجاءت كلماتها كقنبلة متفجرة أطاحت بعقلنا وأذهلتنا تماماً : «الملك فاروق .. ابن سفاح » فارتفع صوتى مزمجراً : « اتقى الله فى الأعراض وقولى الحق».. لكنها أصرت على ما تقول بينما استمر صوتى عالياً : « ماذا تقصدين .. والملكة الكبيرة فى غاية الشرف والكل يشهد بذلك .

ابتسمت الوصيفة ابتسامة مقتضبة وقالت : « لم أقصد بذلك أنه ليس ابن أبيه الملك فؤاد .. بل إن الملك فؤاد أسرع فى الاتصال بالملكة قبل أن يعقد قرانه عليها .. فحملت بفاروق » .

وضحكت بصوت مجلجل قائلاً : « لا يا سيدتى .. هذا حرام .. فاروق ابن شرعى لوالده ولا داعى لتجريحه » .

فابتسمت ـ عن ثقة ـ وقالت : « لدى ما يثبت » .

صحت : « وأين هذه الإثباتات ؟ » .

قالت : « لدى مذكرات الملكة نفسها » .

قلت والتردد يغالبنى : « لا يا سيدتى .. وعموماً احضرى هذه المذكرات .. وإلا قضيت عليك بنفسى لأنك ستثيرين بلبلة هائلة » .

فأسرعت السيدة وأحضرت صندوقاً خشبياً مطعماً بالعاج .. وأخرجت منه أوراقاً حولها شريط من الحرير الأبيض .. وأخذت تخلصها من الشريط بعناية بالغة .. ثم بدأت تقلب الأوراق حتى أخرجت منها واحدة .. ووضعت على عينيها نظارة للقراءة .. وراحت تقرأ فى هدوء : « حقاً .. إنه خطيبى وسيتم الزواج فى أقرب وقت .. ولكن من يدرى ؟ ربما حدث حادث منع هذا الزواج .. فكيف سيكون موقفى بعد تسعة أشهر ؟ لقد تألمت جداً ولمت الأمير أشد لوم .. ولكن ما الفائدة من اللوم وقد حدث ؟ لاسيما أنه يقال بقرب ذهابه إلى عابدين لاعتلاء عرش آبائه وأجداده .. فلا داعى للشوشرة الآن . وليكن هذا سراً .. وربما يأتى المولود بنتاً فلا يكون لها الحق فى العرش .. أما ان كان ولداً فسيكون بعون الله ولياً للعهد .. ولن يعرف هذا السر أحد غير هذه الوصيفة « بهرجول » وهى مخلصة لى جداً .. وأنا لا أستطيع أن أحتفظ بهذا السر وحدى ، لابد من أن يشاركنى فيه أحد وهى صادقة وتحبنى جداً .. وتتعلق بى دائماً .. أرجو من الله أن يتم كتب الكتاب بأسرع ما يمكن حتى ينتهى هذا الخوف الذى أحس وأشعر به دائماً .. قبل أن تظهر على مظاهر الحمل التى أصبحت أخشاها » .

وما إن وصلت الوصيفة إلى هذا الحد من الاعترافات حتى أخذت تعيد الأوراق إلى الصندوق .. فسألتها ـ بأدب ـ عما ستفعله بهذه الأوراق ؟

فردت بعد فترة صمت : « سأظل أحتفظ بها حتى أسلمها لصاحبتها .. فقد تركتها نسياناً منها عندما سافرت إلى أمريكا .. بعد اللقاء المشهود مع ابنها الملك الذى عاتبها ـ بقسوة ـ وطلب منها أن تمتنع عن مقابلة بعض الباشوات على الأقل فى مصر .. وقد أرسلت لى تشدد على حراسة مذكراتها وتخشى من أن يعرف الحرس الحديدى أى شىء عنها .. حتى تأتى إحدى الأميرات لأخذها .. لأنها تخشى إذا عادت لمصر أن تقع تحت نفوذ ابنها فيمنعها من السفر ثانية » .

وما إن انتهت الوصيفة من كلامها .. حتى عرضت عليها أن أحفظ المذكرات عندى .. وهى تعرف مدى حبى للملك كضابط فى الحرس الحديدى .. لكنها رفضت العرض بشدة، فأخذت ألح عليها .. وأشرح لها خطورة وقوع هذه المذكرات فى أيدى أعداء الملك فتكون كارثة .. لكنها أصرت على الرفض . ولو تنبأت بالمستقبل لاستجابت .. وإنما ركبت رأسها رغم الخوف الشديد الذى استولى عليها .. وعندما سألتها عن سبب هذا الخوف .. قالت : إن هناك من علم بهذه المذكرات .. ولذلك فهى تخشى منه .

وأوضحت الأمر بأنه كانت فى زيارتها إحدى سيدات القصر .. وكانت هى تحتفظ بصكوك وأوراق خاصة بها فى محتويات الصندوق وكانت قد سألت هذه السيدة للحضور لزيارتها لقصدها فى خدمة خاصة بصكوك الملكية التى تحتفظ بها ..

وفى غمرة شعورها بالمرض نسيت ـ تماماً ـ أن المذكرات الملكية موجودة بالصندوق ضمن الأوراق التى بين يدى السيدة .. وقد غلبها المرض فأغفت قليلاً .. وعندما فتحت عينيها فوجئت بسيدة القصر تقرأ مذكرات الملكة الأم .. وهى تتمتم بأن « فاروق » ابن حرام .. وحاولت الوصيفة أن تغير من تفكير السيدة بأن المذكرات ليست للملكة الأم الحالية .. لكن علامات عدم التصديق بدت واضحة على وجه سيدة القصر وانصرفت من عند الوصيفة على الفور .. بينما شعرت الأخيرة بأنها أضمرت أمراً .. لم أعرف لماذا لم نستول على المذكرات ليلتها ولكن ربما لأن الوصيفة كانت عجوزاً طيبة لم نريد استعمال القوة معها.

وتركت منزل الوصيفة ومعى « خالد وفوزى » .. واتفقت معه على أن نعود فى ليلة أخرى لنسرق هذه المذكرات الخطيرة .. دون المساس بالوصيفة « بهرجول »

وخطرت ببالنا فكرة سرعان ما نفذناها : « أحضرنا أوراقاً من نفس اللون والحجم المدون بها المذكرات ، وحزمتها بشريط حريرى أبيض بنفس الطريقة التى رأيناه عليها .. ولم ننس أن نكتب شبه مذكرات ـ بخط نسائى ـ عن أية أحداث قفزت بذهننا لحظتها .. وأحضرنا مخدراً خفيف التأثير لكى نضعه فى كوب الشاى الذى تشربه الوصيفة .. فيعطينا فرصة للبحث عن الصندوق واستبدال الأوراق .

وذهبنا لزيارتها ومعنا كل هذه الأدوات .. لكننا فوجئنا بها مقتولة .. وقد انتشر حول منزلها رجال البوليس والنيابة .. وعرفنا أنهم لم يعثروا على أى أثر لذلك الصندوق الخشبى اللعين .

وما أن علم الدكتور « يوسف رشاد » بتفاصيل هذا الموضوع .. حتى أصيب بنوبة غضب لم أشهد مثلها من قبل .

وحاولت البحث عن سيدة القصر المشتبه فيها بسرقة هذه الأوراق .. لكنها اختفت ـ تماماً ـ ولم أعثر لها على أثر ..

إلى أن كان يوم أخبرنا فيه أحد عيوننا بأن أوراقاً هامة .. ظهرت فى « حارة اليهود » .. وحاصرت قوات الجيش الحارة ووجد أن الأوراق تحتوى على أسماء اليهود المتنكرين الذين أسلموا ـ ظاهرياً ـ حتى يحافظوا على أملاكهم فى مصر .. أما الأوراق الحقيقية .. فقد ظهر بصيص من نور حولها .

كانت البداية عندما سألت بواب العمارة المقابلة لبيت الوصيفة القتيلة عما إذا كان رأى أحداً يحوم حول منزلها بعد الحادث ؟ فقال إن أحد السكارى قد دخل منزل القتيلة ـ ليلاً ـ على سبيل الخطأ .. فتصدى له البواب .. لكنه فوجىء بسيد عظيم يعتذر عما بدر من الشخص السكير ويقول إنه سائقه الخاص .. وقد أرسله لإحضار مياه لسيارته .

وقد تعرف البواب على ذلك السكير الذى كان يعمل سائقاً خاصاً لأحد الباشوات الذين رحلوا منذ فترة قصيرة .

وفى إحدى الليالى .. أمكن القبض على ذلك السائق واصطحبناه إلى بيتى الريفى .. وهناك وضعنا قضيباً من الحديد فى النار حتى أصبح كالجمرة المتقدة من شدة السخونة .. ولما أدرك السائق ما سنفعله به ، خر معترفاً .. قال إن إحدى سيدات القصر ومعها أحد السادة الذين لا يعرفهم .. طلبا منه أن يتبين ما إذا كان هناك أحد فى شقة الوصيفة العجوز أم لا ..

وبعد ضغوط عنيفة من جانبنا .. اعترف السائق بأن سيده « الباشا » هو الذى كان يصاحب سيدة القصر فى تلك الليلة .. وأضاف أنه ترك سيده يستعد للسفر إلى لندن لقضاء فترة طويلة هناك .

أمام قصر « الباشا » قاتل الوصيفة وسارق المذكرات الملكية .. وقفت سيارته «اللنكولن» مستعدة للانطلاق بعد أن وضع الخدم جميع حقائبه بها .. هبط « الباشا » سريعاً ودلف إلى داخل السيارة .. ثم أمر السائق بالانطلاق وانهمك فى مطالعة الجريدة اليومية .. لكنه ـ بعد فترة ـ اكتشف أن السيارة لا تسير فى طريق المطار .. فحاول أن يلفت نظر السائق إلى ذلك .. فما كان من السائق ـ الذى هو أنا ـ إلا أن أوقف السيارة مصوباً المسدس إلى « الباشا » الذى ارتعد وشحب لونه عندما اكتشف أن سائقه تبدل بآخر لايعرفه أكثر من ارتعاده من المسدس المصوب إلى رأسه ..

وبعد لحظات وقفت بجوارنا سيارة يقودها « خالد فوزى » كانت تتابع سيارة «الباشا» منذ لحظة انطلاقها .. وترك « خالد » سيارته .. وتوجه ناحيتنا ليقود سيارة « الباشا » بينما جلست أنا بجوار صاحبنا شاهراً مسدسى فى وجهه .. وأكملت السيارة اتجاهها إلى الجيزة قاصدين مدينة « الصف » عند صديقى « ناصر البدوى » .

وبمجرد أن عرف « الباشا » أننا نريد المذكرات الخاصة بالملكة الأم .. وإلا سيفقد حياته فوراً على يد ضابط من الحرس الحديدى .. انهار ـ تماماً ـ وطلب أن نعود إلى المطار ليدلنا على مكان المذكرات وهو بين أيدينا .. فان لم نجدها فيمكننا قتله داخل سيارته والفرار بعيداً .

ولم نجد سبيلاً سوى إجابته لطلبه الغريب .. ووصلنا إلى المطار .. فطلب منا « الباشا »

أن نقبض على مفتى فلسطين المسافر إلى الأردن .. فهو الذى يحمل المذكرات المطلوبة داخل عمامته (!!) .

وكان مطلباً فى منتهى الجنون .. إلا أن إصرار « الباشا » وجديته جعلتنى أذعن لما يقول واتجه إلى مدير المطار .. الذى دهش لما سمعه منى .. لكنى كشفت له عن شخصيتى .. وصممت على طلبى مهما كانت النتائج .. فأسرع يأمر أحد ضباط المطار بالذهاب واحضار مفتى فلسطين فوراً .

ودخل علينا الضابط ومعه المفتى شديد الوقار ظاهر الهيبة .. فطلبت منه أن يسلمنى عمامته الضخمة .. ورفض الرجل .. لكن ما إن رأى التعبير المخيف على وجهى وإذعان كل من حولى لكل ما أطلبه .. حتى تبخر رفضه على الفور وخلع عمامته وقدمها لى .. فإذا بالمذكرات المطلوبة بداخلها !

وتسلم البوليس المصرى المفتى بعد القبض عليه .. أما المذكرات فقد وصلت إلى يد الملك شخصياً .

واتضح أن « المفتى » المزعوم ماهو إلا ضابط مخابرات إسرائيلى .. وقد حكم عليه بالإعدام بسبب حالة الحرب القائمة بيننا وبين إسرائيل .. وتم تنفيذ الحكم بعد أن اعترف بأنه الذى قام بقتل الوصيفة .. ولم يكن « الباشا » سوى مرشد خائن لوطنه ولمليكه .. وربما يكونوا جميعاً قد قاموا بهذه التمثيلية والإدعاءات على الملك وربما كانت هذه المذكرات مزيفة وانقلبت أحداث التمثيلية عليهم فلا أحد يستطيع أن يجزم بأن هذه المذكرات كانت للملكة الأم ..

ومن الممكن أن يكون اليهود آنذاك تمكنوا من شراء ضمير الوصيفة « بهرجول » لتلفيق هذه المذكرات للملكة ولكن كانت هذه حادثة لابد من ذكرها ..

- ٢ -

ونمى إلى علمنا أن أحد قصور منطقة الهرم يشهد نشاطاً غريباً ، و«يتردد عليه نوعيات متباينة من الضيوف .. فصدر لنا الأمر بمراقبته للوقوف على حقيقة ما يقال .

وفى ليلة موحشة يمسك الصمت بخناقها .. وقفت أنا و«خالد فوزى » محاولين أن ننفذ

بعيوننا .. لنهتك سر هذا القصر الشامخ فى صلف تحت أنظار « أبو الهول » .. وبعد فترة من الانتظار الممل .. درنا فيها أكثر من مرة حول القصر .. دون أن يرنو إلى أسماعنا صوت ينبىء عن وجود كلاب حراسة مطلقاً .. ظهر ضوء سيارة قادمة .. فأسرعنا نتوارى خلف شجرة ضخمة .. ووقفت السيارة أمام مدخل القصر .. حيث ترجل سائقها وكان رجلاً يقترب من الأربعين .. متين البنيان .. وسيم الطلعة .. وكان من السهل أن نعرف أنه واحد من أفراد الأسرة الملكية .. لقد كان ابن الأميرة « شويكار » .. وهو شاب مغامر شديد العناد .

وبعد فترة .. وصلت سيارة أخرى بها رجل أجنبى مهيب الطلعة .. ثم بعد قليل جاءت سيارة ثالثة تحمل زعيماً مصرياً معروفاً .. ثم توقفت حركة قدوم السيارات .

وطلبت من « خالد فوزى » أن يقذفنى بحجر إذا ظهرت أضواء سيارة جديدة قادمة .. وبدأت أتحرك فى اتجاه « الفراندة » التى يتجمعون فيها مستتراً بالظلام .. وكان واضحاً أنهم يشعرون بالأمان ولا يخشون شيئاً .

وأخذت أتسلق ـ بهدوء ـ الشجرة الضخمة كثيفة الأوراق .. إلى أن أصبح المجتمعون على مسافة قريبة منى تسمح لى بأن أسمع جيداً ما يدور بينهم .. وكان الضيف الأجنبى يتحدث عربية ركيكة موجهاً حديثه إلى ابن الأميرة « شويكار » قائلاً : « اسمع يا يسرى .. بريطانيا تعرف أصدقاءها ويمكنها أن تعطيهم الكثير وتحقق لهم آمالهم .. كل ما تطلبه ـ فقط ـ الاخلاص .. فهل يمكنك أن تقوم بهذا الواجب ؟ » .

رد عليه ابن « شويكار » بسرعة : لا .. لايمكننى .

ضحك الأجنبى الذى اتضح أنه إنجليزى وقال : « هل تخشى فاروق ؟! » .

رد « يسرى » بالإيجاب .

استطرد الأجنبى : « فاروق خلاص انتهى .. وإذا لم تستلم أنت يمكننا أن نحضر أحد الهنود ليتولى حكم مصر .. أما من ناحية الشعب المصرى فهو شعب مسكين يبحث عن الأكل والمسكن فقط ولايهمه شىء آخر .. كما أن لنا فى الجيش أصابع كثيرة » .

ثم نهض الإنجليزى واقفاً .. استعداداً للانصراف على أن يتجدد اللقاء معهم فى الأسبوع التالى فى المكان نفسه .

وقبل أن أتمكن من الهبوط إلى الأرض .. انطلق الجميع بسياراتهم وتمكن « خالد فوزى » من التقاط أرقام السيارات الثلاث .

وذهبنا إلى الدكتور « يوسف رشاد » حيث أخبرناه بما تم فى هذا اللقاء .. فاهتم الدكتور للغاية وطلب أن أعيد عليه ما سمعت أكثر من مرة .. وتمكنا من التعرف على كل أسماء المشاركين فى الاجتماع عن طريق « مرتضى المراغي » .. وصدرت الأوامر مشددة للحرس الحديدى بأن يتفرغ بكامل قوته لهذه العملية .. وأن يحاط علم الملك ـ أولاً بأول ـ بكل ما يستجد من أحداث .. على ألا يقتل أى من المتآمرين قبل أن تعرف أبعاد المؤامرة بالكامل..

فى الأسبوع التالى .. حضر الجميع فى الموعد والمكان المحددين .. كما اتفقوا فى المرة السابقة .. لكنهم لزموا الصمت .. فى حين أحاط ضباط الحرس الحديدى بجميع مخارج القصر دون أن يلفتوا إليهم الأنظار .

ولم يطل انتظارنا حتى وصلت عربة نزلت منها سيدة جميلة تمسك بيدها حقيبة أوراق .. وانضمت للمتآمرين الثلاثة الذين قابلوها بمنتهى الترحاب .. وفهم ضباط الحرس الحديدى من بعض كلمات نطقت بها السيدة الحسناء أن « لندن » و«تل أبيب» تتعجلان هذه الحركة .. ثم وزعت عليهم أوراقاً أخذوا يتبادلون الرأى حولها .. ومعهم السيدة التى تبين ـ فيما بعد ـ أنها ابنة البارون امبان صاحب ضاحية مصر الجديدة .. صديق «روتشيلد» اللورد الانجليزى اليهودى صديق اسرائيل .

بعد أن انتهوا من بحث جميع الأوراق .. جمعتها السيدة وأعادتها إلى الحقيبة التى حضرت بها .. ولما رأيت من مكمنى فوق الشجرة أنها على وشك التحرك .. هبطت مسرعاً واتجهت إل باقى ضباط الحرس الحديدى .. واتفقنا على ضرورة الاستيلاء ـ بأى ثمن ـ على ما مع تلك المرأة من أوراق .

وقبل أن تصل بسيارتها إلى موقع « القشلاقات » الإنجليزية توقفت السيارة عن السير بسبب نفاد البنزين (!!) وعندما رأت أننا ضباط مصريون ظهر الصلف والكبرياء عليها .. لكنها ما لبثت أن عرفت أنها وقعت بين أيدى الحرس الحديدى الملكى فتملكها الرعب .. ولأننى كنت ـ دائماً ـ لا أميل إلى استعمال العنف مع العزل من السلاح ـ وخصوصاً إذا كانت امرأة جميلة ـ فقد أخذت منها حقيبة الأوراق وانطلقت بعيداً .

وعندما سألت عن هذه السيدة بعد ذلك .. ابتسم الجميع ولم يتكلم أحد .. وفى اعتقادى أنها قتلت بعد أن أجبرت على ارتداء ملابس فلاحة مصرية .. أما سيارتها فقد وضعت لها أرقام جديدة وتاهت وسط آلاف السيارات الأخرى .

ونعود إلى الحقيبة التى تسلمها أناس متخصصون فى اللغات والشفرة .. وبدأت ترجمة ما بها وفك رموز ما تحتويه .. فى منزل الدكتور « يوسف رشاد » وتحت إشرافه المباشر .

وكانت تحتوى على كميات هائلة من المعلومات تدين عدداً كبيراً من الأجانب والمصريين أيضاً .. وأماطت الأوراق اللثام عن كثافة العمل الذى كانت تقوم به الامبراطورية العجوز ـ بريطانيا ـ التى لم تكن تستهدف « فاروق » بشخصه بقدر ما كانت تستهدف مصر ذاتها .

صدرت الأوامر بأن يستخدم الحرس الحديدى كل قواه ـ بأسرع ما يمكن ـ لبتر هذه المؤامرة .. مهما أريق فى سبيل ذلك من دماء .. ولأول مرة ، تفرق الحرس الحديدى إلى وحدات تعمل مستقلة .. وكان نصيبنا ـ أنا وخالد فوزى ـ القائد الانجليزى .. الذى تم ذبحه فى « جنيفة » بمنطقة القنال .. بعدها سمعنا أن بارجة انجليزية حملت « هندياً من عملاء الانجليز قادماً إلى مصر لينصب ملكاً عليها .. وخصصنا لانتظار جلالته ستة مدافع «شميزر» ألمانية الصنع ، تطلق فى الدقيقة الواحدة ألف طلقة ـ بالإضافة إلى عدد لابأس به من قنابل «شى . ف . جرينيد » الانجليزية . لتغطية الانسحاب بعد تمزيق القادم من الهند ليحكم مصر .

واستمرت المراقبة لأيام طويلة .. حتى صدر لنا الأمر بالانسحاب .. لأن « المهراجا » وصلته أخبار ذبح القائد الإنجليزى فرفض ـ تماماً ـ القدوم إلى مصر ..

وعدنا لنتصيد الزعيم المصرى المشارك فى المؤامرة .. واتجهت ـ أنا وخالد فوزى ـ إلى «عزبته » بعد أن تأكدنا من وجوده هناك مع زوجته الأجنبية .. ويبدو أن « الباشا » الخائن كان يشعر بالتعب لكثرة التجوال فى حقوله الشاسعة .. فأغفى قليلاً فى إحدى الخمائل القريبة من « العزبة » .. وقطع عليه « خالد فوزى » خط الرجعة .. وتقدمت منه وقد شهرت المدفع الرشاش .. واستيقظ الرجل ليفاجأ بى أتقدم نحوه شاهراً المدفع ونيتى ظاهرة على ملامح وجهى .. ونظر خلفه فرأى « خالد فوزى » واقفاً ومدفعه ـ أيضاً فى يده.. فصرخ الرجل ثم سقط ميتاً من الرعب . فلكزته بقدمى وتحققت أنه أصبح جثة هامدة .

وفى الصباح التالى نشرت الصحف نبأ موت الزعيم الخطير بالسكتة القلبية فقد كان يعانى من ضعف فى القلب .. وقد وافته المنية تحت كرمة من كروم العنب بعزبته .

أما ابن الأميرة « شويكار » فقد هرب واختفى .. وتمكنا ـ بالبحث والتحرى ـ من التوصل إلى أنه موجود داخل « القشلاقات » البريطانية .. واتصلنا بالسراى وأخبرناهم بمكان وجوده .. فصدر قرار بإحالة أى شخص يلجأ للانجليز إلى المحاكمة الفورية بتهمة الخيانة للبلاد .

وعن طريق شخص مالطى دلنا على مكان اختباء ابن قريبة الملك .. حاولنا دخول «القشلاق » لكنه رفض دخول أى واحد منا .. لأن الانجليز يسألون كل من يشتبهون فى أنه مصرى عن البطاقة التى تسمح له بدخول القشلاقات .

ولم يكن أمامنا سوى العمل المباشر .. وذات صباح وقف ضابطان مصريان يحملان خطاباً من قائد الجيش المصرى إلى قائد القوات الانجليزية فى منطقة المعسكرات .. يحمله فيه المسئولية لاختفاء أحد المجرمين داخل معسكراته .. وهذا المجرم ينتحل لنفسه أسماء وصفات متعددة من بينها اسم « حسين يسرى » ابن ابنة عم الملك .. وهو لا يمت ليسرى باشا بصلة .. ولابد من تسليم هذا المجرم للسلطات المصرية .. فقد صدرت ضده أحكام قضائية واجبة النفاذ .

وقد تسلم أركان حرب القوات الإنجليزية الخطاب . ووعد بأنه سيعرضه على القائد الإنجليزى الأعلى .. ولا يمكن التصرف فى هذا الأمر حتى ذلك الحين .

وكان موقفاً دقيقاً ومحرجاً لأن «البروتوكول» المبرم بين الجيش الانجليزى والدولة المصرية يجبر القوات الانجليزية على تسليم أى مجرم يلوذ بها .. وصمم أحد الضابطين المصريين على اصطحاب المجرم الهارب معه .. فسأله الضابط الانجليزى : هل تعرف مكان هذا المجرم داخل المعسكر (؟!) فأجابه الضابط المصرى بأنه يعرف رقم الحجرة و«البلك» الذى يختبىء به .. وتوتر الموقف للغاية لأن الضابط الإنجليزى أصر على الرفض رغم ذلك.. وحضر ضابط انجليزى آخر برتبة أعلى .. وطلب إحضار المتهم فوراً لأنه لم يجد سبباً لإخفائه والتستر عليه ..

وأحضر يسرى « باشا » وما إن رأى الضابطين المصريين حتى صرخ من الفزع .. فدهش القائد الإنجليزى ، واستفسر منه عن سبب رعبه الشديد .. فأجابه بأنهما من ضباط الحرس الحديدى أشهر قتلة فى مصر كلها .. فسألنا القائد الانجليزى عن سبب خوف الرجل ، وماذا يقصد بضباط الحرس الحديدى ؟! فقلنا : إننا لا نعلم أى شىء عما يقول .. ويمكنه أن يخبرنا .. وإذا لم يكن قد ارتكب إثما .. فما سبب خوفه الغريب ؟! ووجه الضابط الإنجليزى سؤاله ليسرى « باشا » .. فأخذ يكيل التهم إلى الحرس الحديدى .. ويلصق به أحط الصفات .. فتأثر الإنجليزى بعض الشىء .. وأسرع يخاطب رئيساً له بالتليفون .. ثم اصطحب « الباشا » وغاب لمدة نصف ساعة .. بعدها حضر بمفرده ليبلغنا بأن رئيسه يرفض تسليم يسرى « باشا » ويمكننا أن نتخذ ما نريد من إجراءات ..

وخرجنا من المغسكر .. حيث أخطرنا السراى بكل ما حدث .

وتطور الأمر فيما بعد فأنكرت بريطانيا العظمى أن هذا الرجل كان موجوداً داخل معسكراتها .. عندما اشتكتها مصر فى المحافل الدولية .. بأنها تخلق دولة داخل الدولة بإخفائها المجرمين المطلوبين للمحاكمة .. وردت انجلترا بأن حكومة مصر تستخدم قتلة تطلق عليهم « الحرس الحديدى » لاغتيال وتصفية أى شخص أجنبى أو غير أجنبى .. لا ترضى عنه ..

واختفى الرجل نهائياً ـ بعدها ـ ولم نعد نعلم عنه شيئاً حتى اليوم !

- ٣ -

لم أكن - حتى اليوم - أتصور أننى أضع يدى على أخطر خيط لمؤامرة قذرة مازال التاريخ يلف حولها ويدور حتى الآن .. فقد اشتدت حركة الفدائيين ، وأصبح لزاماً على الإنجليز أن يقوموا بطعنة فى الظهر ضدهم فى القاهرة .. وبدأت الأموال الإنجليزية تصرف للخونة بلا حساب .. وتجد أعظم صدى فى نفوس المهربين .. فالمهرب لا وطن له ولا دين .. ولا يعرف إلا لغة النقود .

ففى إحدى الليالى .. طلبت منى امرأة متزوجة كنت قد تعرفت بها منذ فترة .. أن أساعدها فى سفرية سريعة من القاهرة إلى بلبيس .. وعندما رأت علامة استفهام مرسومة على وجهى .. قلت لعلها تعرف أننى كواحد من الحرس الحديدى أعانى من ظروف مالية بالغة السوء .. وأنها سوف تدلنى على طريق للثراء السريع .. وطلبت منى السيدة أن أحضر صباح اليوم التالى بالملابس الرسمية ، وقالت إننى سوف أعرف التفاصيل عند حضورى ، وأنها ستبلغ زوجها « عبد الحميد بك » بقبولى السفر معها إلى « بلبيس » حيث يقابلنا هناك .

وعندما التقينا فى الصباح .. كانت تركب سيارة « باكار » فخمة يقودها سائق خاص .. ركبت بجوارها وانطلقت بنا السيارة تنهب الأرض نهباً إلى « بلبيس » .. وبعد فترة من الثرثرة العادية .. قالت لى : أنت ضيفى الآن فهل شعرت بأية مضايقة ؟ دهشت .. وقلت : لماذا تسألين هذا السؤال ؟ فقالت : ليس لى أن أبحث عن سلامة العمل الذى نقوم به الآن .. وأننى أستحق ما تقدمه لى الآن .. وأخرجت من حقيبتها مائة جنيه دفعة واحدة - وكان مبلغاً هائلاً فى ذلك الوقت - وأعطتها لى .. فقلت : مقابل أى عمل تعطيننى هذه النقود ؟! فضحكت قائلة : اسمع ولا تكن سخيفاً .. أنت - بالطبع - تريد مالا والسراى لاتصرف لكم شيئاً .. وبدلاً من قتل خلق الله ، سنتناول العشاء فى « بلبيس » ثم تعود إلى القاهرة فى سيارة خاصة تقوم بتوصيلك إلى منزلك مقابل ألف جنيه .

وارتسمت على وجهى علامة استفهام صارمة .. وقبل أن أنطق بحرف واحد .. وضعت يدها على فمى قائلة : السيارة التى ستحملك فى « بلبيس » بها أشياء لا أحب أن تتعرض

للتفتيش .. ولن يتجرأ أحد على القيام بتفتيشها أو اعتراض طريقها فى وجود ضابط بالزى الرسمى ينتمى إلى الحرس الحديدى الملكى .

ودارت بى الدنيا .. وفكرت فى أن أقتلها على الفور .. لكن صوت العقل ألهمنى أن أتريث حتى أعرف ما وراء كل ذلك .

وعندما وصلنا إلى «بلبيس» قابلنا زوجها وعاملنى بمنتهى الاحترام والتكريم .. وتوجهنا لتناول العشاء ثم أخطرنى بأن السفر سيكون بعد يومين .. وفى حجرة نوم مريحة قضيت ليلتى دون أن يغمض لى جفن .. وأخذت أقلب الفكر حتى وصلت إلى حل مناسب للموقف .. فعندما حان موعد الفجر استأذنت منها فى الذهاب للمسجد للصلاة كما تعودت كل يوم .. لكن الرجل نظر لزوجته نظرة تحمل معانى كثيرة .. ومع ذلك سمحا لى بالذهاب للمسجد .. وما إن برحت المنزل حتى اتجهت إلى مركز البوليس وأعلنت لهم عن شخصيتى .. وطلبت استخدام التليفون للاتصال بالسراى الملكية .. ولم تمر بضع دقائق حتى نجحت فى الاتصال ـ وكان هذا من الامتيازات التى يتمتع بها الحرس الحديدى ـ وأخطرت الدكتور « يوسف رشاد » بالموقف .. وطلبت منه النجدة بشرط أن أتخلص مما أنا فيه وكأنى لا أعلم عنه شيئاً .. ووعدنى « يوسف رشاد » بمواجهة الموقف كما طلبت .

وعدت إلى منزل مضيفى فإذا بأشخاص مالطيين يقومون بنقل براميل صغيرة وصناديق خشبية إلى سيارة قال لى مضيفى إنها مسروقة .. وعلمت منه أن هذه هى الشحنة الثانية .. أما الأولى فقد هربت ـ بصعوبة ـ فى سيارة أخرى مسروقة أيضاً .. حتى إذا ضبطت الشحنة فيكون صاحب السيارة هو المسئول عما بداخلها ..

وما إن تم شحن السيارة حتى ناولنى الرجل ألف جنيه وهو يشير إلى الشحنة ويقول : «كلها أشياء مفيدة .. فالبراميل الصغيرة بها « بوية » .. والحشيش مطلوب للجميع .. أما السلاح فللفدائيين » .

وركب الرجل ومعه زوجته سيارتها وسارا أمامنا حتى مبنى الاستراحة الموجود فى الطريق .. وهناك توقفنا لتناول الطعام والشاى .

وإذا بى أجد « خالد فوزى » ومعه بعض الأشخاص اتضح أنهم من ضباط البوليس ومكافحة التهريب .. وكانت سيارة أخرى قادمة من «بلبيس » فى طريقها للقاهرة بها بعض ضباط الجيش .. وأشار لى « خالد فوزى » فابتعدت عن مبنى الاستراحة ـ بهدوء ـ حيث فتح لى قائد سيارة الضباط الباب فدخلتها وانطلقت ـ على الفور ـ عائدة إلى «بلبيس» ثانية .. بينما دهمت قوة الشرطة القافلة كلها .

واتضح ـ بعد ذلك ـ أن البراميل الخشبية الصغيرة كانت تحتوى على مادة تشتعل بمجرد الضغط، أو الاحتكاك بينها وبين أى جسم صلب .. وهى نفس المادة التى استخدمت ـ فيما بعد ـ فى حريق القاهرة (!!) .

أما فى « بلبيس » فقد تعرفت على المالطيين الخمسة وتبين أنهم يقومون بدور « السماسرة» بين الخونة والانجليز .. وقد لقوا مصرعهم ـ جميعا ـ فى ليلة واحدة بطريق المعاهدة .. وعدنا إلى القاهرة بعد الانتهاء من تلك المهمة .. أما الرجل .. فقد انتحر فى سجنه تخلصا من الفضيحة التى لاحقته .. بينما أودعت زوجته سجن النساء لقضاء فترة العقوبة .

تطورت الأحداث بعد ذلك .. وأخذ العمل الفدائى يشق طريقه رغم الصعاب .. ومن الأعمال التى قام بها الفدائيون وضع السموم فى مياه شرب القوات الانجليزية .. مما أدى إلى موت عدد منهم .. ثم وقع حادث الإسماعيلية المجيد عندما صمد ـ لساعات طويلة ـ بضعة جنود من البوليس وبلوكات النظام ضد الانجليز .. وأصبح الجلاء مطلبا وطنيا لا يحتمل التأجيل .. وهنا بدأ الإعداد لحريق القاهرة داخل السفارة الإنجليزية .

أما الذين لطخوا الملك بهذا العار فلم يكن لهم غير أن يفكروا فيما كان يمكن أن يكسبه الملك من حريق القاهرة (؟!) وقد قلت فى التحقيقات التى أجريت ـ بمنتهى الصراحة ـ أن من أحرق العاصمة هم الإنجليز .. مستخدمين نفس المواد التى تمكنا من الإمساك ببعضها فى « بلبيس ».

انتشرت رائحة الغدر فى محلات القاهرة .. وظهرة نوعية جديدة من العمالة لم تكن موجودة من قبل .. تركزت فى مخازن ومحلات شارع قصر النيل وشارع فؤاد .. حيث تتمركز الشركات الأجنبية فقد كانوا يقومون بحرقها ثم يدعون أن الأجانب فى خطر ، ويعيدون المهزلة القديمة .

كانت عمليات تهريب الذهب والآثار والنقود ـ القديمة والحديثة ـ تتم بشكل واسع .. بواسطة اليهود إلى اسرائيل .

ونقلنا كل هذه المعلومات إلى الدكتور « يوسف رشاد » لينقلها ـ بدوره ـ للملك « النائم فى العسل » .. الذى أسلم قياده للخونة والأنذال وعديمى الوطنية .. ووصل به الحال إلى أنه أصبح شبه « متفرج » لا يريد أن يتدخل فى شىء .. بل ربما لا يعلم كيف يتدخل(!!).. فطلب منا الدكتور « يوسف رشاد » أن نقاوم ما يحدث بقدر الإمكان .. لاسيما أن بعض البوادر بدأت تملأ القاهرة تدل على اتجاه النية إلى عمل شىء يوقع مصر فى مأزق أمام الدول الأخرى .. وتكون فرصة لبريطانيا كى تتدخل .

وقد ظهرت عدة جرائم وحرائق لتغطية السرقات والإيحاء بأنها من فعل المظاهرات التى بدأت تجوب القاهرة .. وانتهز الشيوعيون الفرصة كعادتهم فى ركوب أى موجة ليصلوا إلى أغراضهم .

وأقسم ـ غير حانث ـ أن هناك شخصيات قوية كانت تعمل مع الإنجليز .. لكن فى الخفاء .. وقد اجتهدنا كثيراً لنصل إلى هؤلاء « الباشوات » ـ أو هذا « الباشا » بالذات ـ بعنف ـ يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ .. وابتداء من الصباح ، ظهرت تجمعات حقيرة من الغوغاء .. يمرون فى جماعـات صغيرة .. تطوف بهم بعض السيارات لتعطيهم أشياء غامضة .

وانطلق هؤلاء الغوغاء والأوباش ينهبون ويسرقون .. وانتشرت الفوضى الكاملة مع مسلسل الحرائق الذى انتشر فى جنبات القاهرة كلها بنفس الأسلوب .

ولم تكن قوات البوليس تكفى لمواجهة ما يحدث .. بينما الجيش ينتظر الأوامر ولايصدرها له أحد .. وضاعت كلمات الفدائيين ـ وأشهد أن الإخوان المسلمين منهم كانوا يمنعون الغوغاء من النهب والسرقات على عكس ما حاولته وزارة الداخلية ـ وقتها ـ من إلصاق تهمة إثارة الفتنة والفوضى بهم ـ كذلك لم تجد كلمات رجال الدين .. وقد شاهدت بعينى ضابطاً من دفعتى فى الكلية الحربية ـ هو « اسماعيل بجاتو » ـ يلقى بنفسه وسط المجموعات المخربة ليمنعها من تحطيم أبواب المحلات التى بدأ أصحابها يغلقونها على الفور .

وبدأت الأحداث تترى بسرعة كبيرة .. والنار تنتشر فى كل مكان .. وألسنة اللهب تطوى كل شىء .. وفى تقاطع ميدان الاسعاف مع شارع فؤاد الأول ـ ٢٦ يوليو حالياً ـ تحولت عمارة « الشواربى » إلى قطعة من جنهم .. مما جعل مهمة إنقاذ الأجانب الذين يسكنون فى الأدوار العليا من العمارة تكاد تصبح مستحيلة .. وأخذ هؤلاء يصرخون ـ بجنون ـ فى طلب النجدة عبثاً .. بينما تئز النيران صاعدة إليهم فى قوة رهيبة تشيب لها الرؤوس .

وأسقط فى يد الجميع .. وأخذ الناس يتصايحون .. وعندما وقفت أصرخ فيهم وأنا بملابسى العسكرية طالباً المعونة والنجدة لهؤلاء الأجانب الذين سجنتهم النيران .. جاءنى الرد سريعاً .. بضربة قوية على رأس من الخلف .. فسقطت فاقد الوعى ـ يمكن الرجوع لعدد « أخبار اليوم » الصادر فى اليوم التالى لحريق القاهرة والذى وصفت فيه الحادث جيداً وبالتفصيل .

ولم يهتم أحد من المتفرجين البتة .. وأفقت من الضربة على يد غير مصرية .. فاندفعت إلى سلم العمارة الذى أحاطته النيران من كل جانب .. ووجدت المصعد الكهربى تتلاعب به ألسنة اللهب .. ففتحت الباب واندفعت داخله .. وضغطت على « ذر » الحركة .. وحدثت المعجزة .. تحرك المصعد إلى أعلى مخترقاً حاجزاً كثيفاً من النيران والدخان .. وشل الألم جسمى بأكمله وتحولت بزتى العسكرية إلى خرق سوداء ممزقة .

وأمام الطابق الرابع توقف المصعد .. وأخذت أحاول فتح الباب فاستجاب بصعوبة بمساعدة سيدة من المحاصرين فى العمارة .. وبمجرد خروجى منه سقطت فى قلب ألسنة اللهب التى كانت تندفع من أسفل .. ووقفت وسط السكان المحاصرين شبه عار من ملابسى .. وطلبت منهم أن يحضروا كل ما لديهم من بطاطين صوفية ويشبعوها تماماً بالماء.. ثم يلفوها حول الأطفال والنساء حتى نتمكن من اجتياز منطقة النيران .. وأخذوا يضعون ذهبهم ونقودهم فى قطع من قماش أعطونى اياها فربطتها حول معصمى .. وبدأنا نهبط درجات السلم خطوة خطوة وأنا أحثهم على الحركة أسرع .. وكأنى فى ميدان القتال وعلى أن أنقذ رجالى الذين تحاصرهم النيران .. حتى إننى كنت أسير خلفهم ممسكاً بعمود

ن حديد ألوح به فى وجه من يتردد فى النزول أو يحاول التراجع .. وأوقف السير لنتلقف من
قط من الأطفال وكبار السن .. ثم استمرت القافلة المنكوبة فى الهبوط وسط جحيم
هنمى من النيران والدخان والرعب .

وما أن اجتزنا الطابق الثالث حتى انشقت الأرض عن شخص ملتح أخذ بيد الجماعات
تقدمة واندفع يقودهم هبوطاً بجسارة ـ يحسد عليها ـ حتى أمسكت النار بلحيته وشعره
سقط يتمرغ على الأرض من شدة الألم .. وقبل أن تدوسه الأقدام المفزوعة .. صرخت فيهم
ن يلقوا فوقه ببطانية .. وأنقذ من النيران ونهض من جديد .

وتمكنا ـ بعد عذاب مخيف ـ من أن نصل إلى الطابق الأرضى ونخرج من العمارة إلى
رض الشارع .. وكانت هيئتى تثير الخوف والهلع فى المحتشدين خارج العمارة فقد كنت
شوه الوجه .. محترق الشعر .. ممزق الملابس .. وتلقفتنى عربة جيش بها اللواء « عبد
واحد عمار » وحملتنى حتى باب « العوامة » الخاصة بى .. وبعد أن استبدلت ملابسى
انتعشت قليلاً .. اتجهت إلى قسم شرطة الأزبكية لتسليم الذهب والنقود إلى أصحابها ..
فور أن تمت عملية التسليم ـ على أكمل وجه ـ صدرت وأنا داخل القسم ، أوامر بمهاجمة
لية الهندسة جامعة فؤاد ـ القاهرة الآن ـ واستخدام الذخيرة الحية للقبض على بعض
لأسماء .. اتضح أنها أمليت على أجهزة الأمن المصرية من المخابرات الإنجليزية على أنها
ى التى أشعلت حريق القاهرة .. وكان هذا ـ بالنسبة لشاهد عيان مثلى ـ يعد تهريجاً
خيصاً وفاضحاً .. لأننى رأيت القتلة الذين قاموا بحرق القاهرة ـ وسمعت عنهم ـ قبل أن
بدأوا جريمتهم .. بل سبق أن أبلغت بعض الجهات بأن الإنجليز سيقومون بفعلتهم ..
كن بلا فائدة .

وها هم الآن يزيدون الجريمة جرماً بدس أسماء بعض الملتحين من جماعة « الإخوان
لمسلمين » .. والذين رأيتهم بعينى رأسى يساعدون فى مقاومة الحرائق وإنقاذ
لمحاصرين..

وأسرعت إلى كلية الهندسة .. وأخبرتهم بما يدبر لهم ـ قبل أن تحيط بهم قوات البوليس ـ
انصرفوا فوراً وعندما اقتحمت قوات البوليس مبنى الكلية لم يجدوا سوى بعض الطلبة
ستذكرون دروسهم غير عابئين بما يحدث خارج أسوار الكلية .

وبعد ذلك .. انتشرت شائعات قوية تتهم الملك والحرس الحديدى بتدبير حريق القاهرة .

وبدأت التحقيقات حول أسباب الحريق .. واستدعيت عدة مرات للإدلاء بأقوالى .. وفى كل مرة كانوا يرفضون أن يصدقوا ما أدلى به .. بل إن وكيل النيابة المسئول عن هذه التحقيقات كان يعمل فى نطاق ضيق من الواضح أنه رسم له .. حتى إنه عندما عرف أننى من ضباط الحرس الحديدى الملكى رفض ذكر اسمى فى محضر التحقيقات .

ومن بين ما أدليت به أننى رأيت الإنجليز ـ أنفسهم ـ يخططون لحريق القاهرة .. وأن هناك ضابطاً بريطانيا ملامحه قريبة من الشرقيين كان يتنقل بين المحلات الكبيرة المراد حرقها.. وقد عرف كلانا صاحبه .. فقد سبق أن قبض على بجهة القنال عندما كنت أعمل مع الفدائيين .

ورفض وكيل النيابة ـ مرة أخرى ـ تسجيل ذلك .. فقدمت له ما نشرته جريدة « أخبار اليوم » من تسجيل لبعض مواقف يوم ٢٦ يناير وكيف قمت بإنقاذ الكثيرين من الحريق .. لكنه رفض تسجيل ذلك أيضاً (!!) ما دمت من الحرس الحديدى .

فى تلك الفترة تقابلت مع الضابط « أحمد حمروش » ـ الكاتب الصحفى الآن ـ وأبلغته بأن الإنجليز هم الذين أحرقوا القاهرة ، وقدمت له الدليل على ذلك .

ـ ٥ ـ

أخذت الأمور تتدهور بسرعة كبيرة بعد حريق القاهرة .. كل مجموعة تتربص بالأخرى ، والإنجليز يتربصون بالجميع .. وبدأ العد التنازلى لعودتهم إلى القاهرة .. وكل ضابط من ضباط الحرس الحديدى يبحث لنفسه عن ظهر يحميه فى حالة خروج الملك .. وكنت معتمداً على أن « جمال منصور » و « سعد الدين مصطفى خليل » ـ قائد السرية التى كانت تضمنى وجمال منصور ـ ومعهما « خالد محيى الدين » يعرفون ـ تماماً ـ ما أقوم به .. ولما طلبت من « جمال منصور » أن يوضح للضباط الأحرار الصورة الحقيقية للحرس الحديدى .. رفض ـ خوفاً على نفسه ـ لأن صورة الحرس الحديدى من الصعب تغييرها فى

:هان ضباط الجيش المصرى .. لكنه طلب منى فى الوقت نفسه ـ وهو لا يزال حتى الآن لى قيد الحياة ـ ألا أخشى شيئاً .. فلديه وعد من قيادة التشكيل بألا ينالنى أى ضرر على لإطلاق ، بل سيتم الإعلان عن مواقفى الوطنية .. لكننى أخبرته بأننى أخشى أن ينقلب لموقف ضدى وأصبح من الجانب الآخر .. وتلصق بى جرائم سيحاول البعض إلصاقها الملك .. وإلى أن يتضح موقفى أكون قد نلت من المذلة والهوان ما ليس له حدود .

وما إن وقع الانقلاب حتى حدث ما كنت أخشاه وأصبح كل ضابط بطلاً من لأبطال(!!) بل إن صديقى « محمود صفوت » قطع علاقته معى ورفض الاتصال بى هائياً خوفاً على نفسه من أن يتهم بأنه صديق لضابط فى الحرس الحديدى .

وساء موقفى جداً ولم يعد أحد يذكرنى إلا بكل نقيصة .. أما الأبطال العظام الذين لم يطلقوا رصاصة واحدة فى سبيل الله والوطن ، وربما لم تطأ أقدام بعضهم تراب فلسطين .. حتى وإن وطأتها فلم يكونوا سوى إداريين لا محاربين هؤلاء بدأوا يتظاهرون أمام « عبد الناصر » بالبطولة (!!) .

المهم : لم يكن لأحد أن يشرح لجمال عبد الناصر ما قمت به .. بل سارع « حمدى عبيد » بالكيد لى عنده تقربا له .. فما كان من « جمال عبد الناصر » إلا أن اعتقلنى .. وتدخل «خالد محيى الدين » ومعه « جمال منصور » تحت ضغط وإلحاح « سعد الدين خليل » الذى كان يعرف الحقيقة تماماً .. ولم يرض أن يترك الأمر هكذا .. بل هدد بأن يذهب إلى «جمال عبد الناصر » نفسه ليوضح كل شىء .

حدث لى هذا .. فى الوقت الذى عين فيه جميع ضباط الحرس الحديدى فى أماكن ووظائف عظيمة .. حتى « عبد الله صادق » ـ المساعد الأيمن للدكتور يوسف رشاد ـ سافر إلى أوروبا على نفقة الدولة ، وبسرعة تحول الجميع إلى أبطال ولم يعد هناك من الحرس الحديدى إلا أنا (!)

وطلب منى « خالد فوزى » أن أصحبه إلى شخصية عسكرية كبيرة .. فوافقت وما إن وصلنا إلى المسكن المقصود حتى استأذن ودخل بمفرده .. وبعد فترة قصيرة خرج فى حالة غضب شديدة ـ قائلاً : إن جميع الضباط العظام يتحرجون منى .. بل إن الشخصية

العسكرية الكبيرة التى كان معها منذ لحظات رفض الكلام عنى نهائياً .. وعلى أن أبرىء نفسى إذا كنت أريد أن أعيش فى الجيش أو حتى خارج الجيش .. لأن سمعتى ـ كحرس حديدى للسراى ـ تملأ كل مكان .. رغم أن أحداً لم يشهد ضدى بشىء (!) لكن منظرى الهائل وظهورى مع بعض نساء السراى وكراهيتى الشديدة للإنجليز والخونة أحدثت رد فعل قوى حتى انقلب إلى الضد !

وعلى كل حال أنه بدلاً من أن ينتهى تنظيم الحرس الحديدى .. إذا به يظهر بشكل جديد .. فقد ذهبت لزيارة « أحمد يوسف حبيب » ذات مرة .. فوجدت الدكتور « يوسف رشاد » فى منزله . وكان يحاول ألا يراه أحد من ضباط الحرس الحديدى .. لكننى علمت ـ بالصدفة ـ بأنهم يبحثون قبول ضباط جدد فى الحرس الحديدى .. وعرفت ـ أيضاً ـ أن هناك أعمالاً جديدة ستوكل إلى آخرين يقومون بالضرب العشوائى دون تفكير أو روح وطنية.. وسقطت عدة كلمات من « يوسف رشاد » فهمت منها أن الملك يريد تصفية اللواء « محمد نجيب » هذه المرة .. ولهذا الغرض أخذوا يستقطبون من الجيش كل انتهازى مبتدىء لا يعنيه إلا مصلحته الشخصية .. وأخطرنا بأنه حتى لو استغنى الملك عنا فسنظل نتبع القافلة !

ولم أجد أمامى من سبيل ـ فى ذلك الجو العاصف المتلاطم ـ إلا أن أعلن للجميع أننى مستقيل .. رغم أنه لا استقالة ـ فى هذه الحالة ـ إلا بالموت .

وقوبل إعلانى « المدمدم » بالصمت .. وعندما نهضت منصرفاً لم يتبعنى أحد ، ولم ينطق مخلوق بكلمة !!

وعندما بلغت منزلى بالزيتون ـ وكان لى عدة أماكن للدخول ـ سمعت أزيزا خلف أذنى تماماً .. وكنت أعرف معنى ذلك الصوت ، فارتميت على الأرض أتدحرج بعيداً فى الظلام .. ولمحت عربة سوداء من طراز « ستروين » الفرنسية تسرع بالهروب من أمام المنزل .

ذهبت إلى السيدة « ناهد رشاد » فرفضت مقابلتى .. كذلك فعل « يوسف رشاد » .. مما جعلنى أتقدم إلى إدارة الجيش بطلب للعمل « نائب أحكام » بحكم حصولى على ليسانس الحقوق .. لكن طلبى قوبل بالرفض .. وجاء فى تسبيبه أنى « ضابط مقاتل » .. والتحقت

الكلية الحربية على هذا الأساس .. وإحالتى إلى الوحدات الكتابية لا تأتى بطلب منى بل نهم هم وبسبب واضح كعذر طبى .. مثلاً .

فطلبت إحالتى لإحدى كتائب المشاة فى السودان .. وكانت لى خدمة سابقة هناك .. كن لم يصلنى رد !

كنت ـ يوماً ـ فى طريقى إلى الاسكندرية لقضاء عدة أيام فى احدى «كبائن» سيدى بشر الخاصة .. وقبل أن أصل إلى « رست هاوس » ساعة الغروب .. اصطكت بأذنى أصوات إطلاق رصاص .. ولمحت عربة قريبة الشبه من عربة أحد ضباط الحرس تقف فى عزلة على الطريق وكان واضحاً أنها هدف لطلقات الرصاص .

وأوقفت السيارة ليس ببعيد عن السيارة الأخرى ولكن بعيدة عن مرمى النيران .. وتحصنت بجوار سيارتى على الطريق .. ولمحت المدفع ينطلق من خلف « تبة » قريبة من السيارة وكنت أريد أن أعرف من بداخل السيارة فلابد أن حالتهم غاية فى السوء .. وقد تأتى طلقة فى خزان البنزين وتنفجر السيارة بكل من فيها .. أما إذا حاولوا النزول منها فستصطادهم طلقات المدفع على الفور .. فزحفت منبطحاً ـ تماماً ـ على الأرض مقترباً من « الستروين » .. حتى التصقت بها ، وإذا بداخلها « مصطفى صدقى » و « خالد فوزى ».. وما إن لمحانى حتى صاحاً : « انظر يا سيد لقد طمع فينا بعض ذوى الثأر .. يريدون الثأر لعملية من العمليات فصحت قائلاً إننى سأشاغلها بتبادل الطلقات حتى أسمح لهما أن يخرجا زحفاً من باب السيارة ناحيتى ويزحفا حتى سيارتى ثم ينطلقا بها على أن يعودا إلى نفس الطريقة ليأخذانى بعد عشرة دقائق على الأكثر ..

وبالفعل زحفا بكل الحرص على الحياة حتى دخلا سيارتى وانطلقا بها واتخذت أنا من سيارة « مصطفى صدقى » ساتراً يحمينى من نيرانهم وعدت للزحف من جديد حتى اقتربت من أحد الكثبان ومن ورائه انطلقت أعدوا بكل ما أوتيت من قوة حتى لمحت سيارتى وخالد يسوقها تسرع إلىّ وانطلقنا جميعاً بالسيارة بعد مغامرة لم تكن فى الحسبان خرجنا منها مشدودى الأعصاب ولكن كان علينا أن نتوخى الحرص بعد ذلك فلابد أن نكون مسلحين فى كل خطوة نخطوها .

وعرفت من « مصطفى صدقى » أنه استدرج بواسطة القتلة ليشترى « عزبة » مجاورة بمبلغ ضئيل .. وأفقده الطمع الحرص الواجب فى مثل هذه الحالات .. فاصطحب « خالد فوزى » وذهبا يستطلعان « العزبة » وهناك .

وزال سوء التفاهم بينى وبين الحرس الحديدى .. واحتفلوا بعودتى ـ على هذا النحو البطولى ـ فى « الحلمية بالاس » .. وفى منزل الدكتور « يوسف رشاد » !!

الفصل السابع

أنقذنا الملك من اغتيال دبره الباشا .. فأمر بحلنا ليرضيه !

- ١ -

اتصلت بى السيدة « ناهد رشاد » وأبلغتنى بأن الملك « فاروق » قد اتجه ـ دون حراسة ـ إلى جزيرة « فيشر » لقضاء بعض الوقت هناك .. ويبدو أنه يصطحب سيدة لا يريد أن يعرف أحد عنها شيئاً .. فهو يرغب فى تمضية بعض الوقت بعيداً عن استراحاته الملكية .. وصارحتنى « ناهد هانم » بأنها قلقة لما حدث وتشعر بأن الأمر ينطوى على ملعوب .. وفى الوقت نفسه لا تجد أى ضابط من الحرس الحديدى تستطيع الاتصال به غيرى .. وهى لا تريد أن تلجأ إلى قوات البوليس أو الحرس الملكى ـ فى هذا الشأن ـ خشية أن تخيب شكوكها وتحدث للملك فضيحة لن يسامحها بعدها مطلقاً .

فانطلقت بسيارتى أنهب الأرض نهباً حتى كاد « الموتور » يحترق .. لكى أتصل بخالد فوزى أخطره بوجود الملك متنكراً فى جزيرة « فيشر » وأن خطراً يلوح فى الجو مهدداً حياته..

وكان معروفاً مدى ولع الملك بتمضية بعض الأوقات متنكراً حتى لا يضايقه أحد .. لكنه ـ فى الوقت ذاته ـ يعرض نفسه لمغامرة غير محسوبة .. وكان « محمد شعراوى » يعتبر الجزيرة مفتوحة دائماً وفى أى وقت أمام الملك .. وبعد أن أزلت « سوء التفاهم » بينهما بمغامرة المانجو التى ذكرتها من قبل .. وأصبح مانجو جزيرة « فيشر » يجد طريقه للسراى بدلاً من قصر « باكنجهام » حيث يجلس ملك الانجليز .. وبعد الزيارة الأولى للملك تلبية لدعوة « شعراوى باشا » أحب « فاروق » المزرعة التى جهزت على الطريقة الانجليزية واعتبرها تلبى حاجته للانطلاق غير البرىء بعيداً عن أعين الرقباء .

وكانت مهمة حماية الملك لا تزال مسئوليتنا كحرس حديدى :

ولم أجد « خالد فوزى » ولا « حسن فهمى » ولا أحداً من ضباط الحرس الحديدى .. فتركت لهم رسالة يفهمون منها المعنى الذى أريده .. كل فى منزله .. واتجهت إلى الجزيرة حتى أكون بالقرب من الملك إذا تعرض لخطر .. ووصلت إليها عصراً .. ولم أشعر بأن هناك أى شىء غير عادى .

ويبدو أن أحداً لم يلاحظ وجود الملك بها .. فلم أجد من يعارضنى وأنا أتجه إلى الاستراحة الخشبية ثم القصر الذى كان « محمد شعراوى » يريده قصراً منيفاً هائلاً .. لذا كانت جدرانه شديدة الضخامة ومساحته كبيرة .. ولكنه لم يستطع أن يكمله .

كانت الاستراحة مضاءة .. فقد بدأ الليل يرخى سدوله .. ورأيت الملك بداخلها ومعه سيدة لم أتبين ملامحها لأنها كانت تواجهنى بظهرها .. ولمحنى الملك لكنه لم يتعرف على بسبب الظلام الذى أخذ ينتشر .. وابتعدت إلى مكان أستطيع منه أن أراقب الاستراحة دون أن أرى .

وجلست منعزلاً تماماً .. وشيئاً فشيئاً تسلل النوم إلى عينى فأثقل جفنى .. ساعد على ذلك تعبى الشديد والعزلة التامة التى اخترتها لنفسى .. واستيقظت فجأة على همسات كالفحيح على مقربة منى .. وبسرعة رد الفعل تمكنت من السيطرة على نفسى .. ورحت أتصنت على الصوت .. وتبينت أنه حوار بين شخصين لا أعرفهما .. يؤكد كل منهما لصاحبه أن الشخص الموجود فى الاستراحة الخشبية هو الملك بعينه ..

وفهمت من الحوار أنهما ليسا من رجال « شعراوى باشا » بل يتبعان واحداً من ألمع رجال الأحزاب فى ذلك الوقت .. وأنهما عرفا ـ من حديث عابر ـ بحكاية الزيارات الملكية لجزيرة « فيشر » عن طريق « سفرجى » يعمل فى خدمة سيدهما .. له قريب يعمل خادماً فى الجزيرة .. وقد تعرف على شخص الملك فى إحدى الزيارات فنقل إلى قريبه الخبر الذى نقله ـ بدوره ـ إلى آخرين .. إلى أن بلغ مسامع « الباشا » فأمر بعض أتباعه بمراقبة الجزيرة بشكل مستمر .. حتى علموا بوصول الملك فى ذلك اليوم .. وعندما أبلغوا سيدهم بذلك طلب منهم التمهل حتى يحضر بنفسه ليتأكد من شخصه .. لأن عدم وجود حرس فى صحبة الملك نهائياً ، وتنكره أيضاً ، جعله يشك فى حقيقة وجوده فى الجزيرة .. وهو لا يريد أن يحدث خطأ تترتب عليه نتائج ليست فى الحسبان .

وبدأ الرجلان فى التحرك انتظاراً للباشا الذى سيحضر إلى الجزيرة فى قارب خاص دون أن يستعمل « المعديات » المعتادة حتى لا يتعرف عليه أحد . وعندما ابتعدا اتضح لى أن عددهم كبير لا شخصين فقط .. فأخذت أفكر بسرعة لأن الموقف كله معلق على لحظات قصيرة .. وتأكدت من أن صاحب الجزيرة لا يمكن أن يكون موجوداً لأنه لو كان عرف بمقدم الملك لخصص حراسة من رجاله فى مواقع حساسة .. وطالما أن « محمد شعراوى » ليس موجوداً فى الجزيرة .. فلابد أن عدد رجاله بها لن يزيد على ثلاثة أو أربعة من الخفراء للحراسة .. أسلحتهم بسيطة .. ومع ذلك يمكن أن أستدعيهم وأكشف لهم عن شخصية الملك ونقف معاً للدفاع عنه .. رغم أنها ستكون مذبحة ضدنا .

وفى الوقت نفسه لو أخطرت الملك بما يدبر ضده وطلبت منه أن يترك السيدة التى بصحبته ويرافقنى لنختفى حتى تأتى نجدة من القاهرة .. فسوف يضربنى بالسوط .. فقد سبق أن أقسم بأن يضرب بالسوط أى فرد من حراسه يقطع عليه لحظات انفراده بنفسه بعيداً عنهم .

ومع ذلك .. كان لدى فضول شديد لأن أعرف هذا « الباشا » .. الذى كان ينتقم لنفسه من إهانة بالغة يتصور أن الملك وجهها إليه .

وبينما أضرب أخماساً فى أسداس إذا بى أسمع صوت « خالد فوزى » يناقش «مصطفى صدقى » وهما قادمان عن طريق « المعدية » .. ويصفان أفكارى بأنها غريبة .. لأنه لا يعقل وجود الملك متنكراً فى الجزيرة .. وقبل أن ينتهيا من حديثهما كنت أتوسطهما وأخطرهما بالمؤامرة التى تستهدف قتل الملك .. فسارت فيهما روح القتال وأسرعنا بوضع خطة بسيطة تعتمد على إشعار الملك بالخطر .

ذهبنا إلى الاستراحة .. وطرقنا الباب .. فخرج إلينا الملك بعد لحظات ليست قصيرة .. وعندما رآنا ثار غاضباً وتناول سوطاً معلقاً على الحائط وراح يضربنا بقوة .. وتحملنا الضرب بكل رجولة .. فدهش الملك من ثباتنا .. وبدأنا نخبره بما يحاك حوله من دسائس لقتله .. فخجل مما فعل بنا وحاول أن يعتذر بكلمات قصيرة مغمغمة .. وطلبنا منه أن يتبعنا هو وضيفه (!!) فى سكون لنتحصن فى مبانى القصر .. ونرقب ما يحدث ونتصرف على هدى ذلك ..

وإمعاناً فى الاعتذار قبلنا الملك واحداً واحداً كنوع من التكريم الملكى .. وتوقفنا خلف ما تم بناؤه فى الطابق الثانى من القصر .. ورحنا نرقب ما يحدث فى الاستراحة .

لم يمر من الوقت الكثير .. حتى ظهر حول الاستراحة عدد من الأشخاص يسيرون مهرولين كأنهم في ميدان قتال .. يتقدمهم أحدهم وسار حتى وقف أمام مدخل الاستراحة .. ثم أخذ ينادى بصوت خال من التوتر : « أنت يا خواجة .. محمد شعراوى صاحب الجزيرة حضر بنفسه .. ألا تريد أن تقابله ؟ » .. قالها عدة مرات .. وبالطبع لم يتلق أية إجابة .

ولما لم يرد أحد .. تقدمت الشرذمة الواقفة ـ ومن بينهم الباشا الشهير ـ فاقتحموا الاستراحة وأخذوا يبحثون فى كل مكان حتى يسقط فى أيديهم .. واندفع « الباشا » ـ كالمجنون ـ إلى حجرة النوم ، ثم أخذ يفتش فى باقى الحجرات الخشبية و«التواليت » بلا فائدة .. وهو يزمجر كوحش مفترس بأن خيانة حدثت تم على إثرها تحذير الملك .. فنظر الجميع إلى بعضهم البعض وأقسموا بأنهم لم يفترقوا للحظة واحدة فكيف يحذره أحدهم(؟!) لكن « الباشا » صرخ مؤكداً أن هناك من حذره لكنه مازال داخل الجزيرة .. وأمر اثنين من جماعته بمراقبة مدخل الجزيرة حتى لا يخرج أحد .. وأعلن عن مكافأة كبيرة لمن يقتل الملك الآن .

ورأيت الملك يكاد يبكى من شدة القهر وهو يتابع ما يجرى أمامه على بعد أمتار قليلة ..

كان الموقف خطيراً للغاية .. فنحن فى جزيرة منعزلة ومعزولة تحيط بها المياه من جميع الجهات ملآى بالشجر الضخم .. وعدد لا يحصى من الرجال المسلحين المتعطشين للمكافأة السخية .. بينما نحن ثلاثة أفراد غير كاملى التسلح ، وملك وامرأة رجل مشهور لا يستطيعان الدفاع عن نفسيهما .. والليل طويل لم يمض منه إلا جزء قصير .. وفوق كل هذا أحد الزعماء الموتورين جداً من الملك له « ثأر » قديم لا ينسى يعرفه جيداً ضباط الحرس الحديدى .. وكان لابد من استعمال العقل والحذر إلى أقصى الحدود وإلا قتل الملك وربما نحن أيضاً .

وعندما تأكد « الباشا » من شدة الحراسة على مدخل الجزيرة .. قسم رجاله إلى ثلاثة أقسام . كل يتجه إلى ناحية معينة بحثاً عن الملك فى كل شبر من الجزيرة ولدى الجميع أوامر مشددة باطلاق الرصاص عليه فوراً مهما كان الموقف .. وانصرفت كل مجموعة فى اتجاه ولم يبق غير « الباشا » بمفرده .. الذى دخل الاستراحة ولم يفكر أحد فى تفتيش القصر.

وشعرت بأن هناك أملاً لأن «الباشا » الجاهل عسكرياً أضعف رجاله بعملية التفتيش .. وكان أولى به أن يجمع القوة كلها تحت يده ويرسل عدداً محدداً من الأفراد للبحث والتفتيش .

وخرجت من القصر ومعى « مسدس » وكنت الوحيد الذى يعرف ـ جيداً ـ جغرافية الجزيرة .. وطلبت من باقى أفراد مجموعتنا البقاء والدفاع عن الملك حتى الموت .. وإذا لم أتمكن من العودة لأى سبب فليسرع فرد واحد إلى مركز بوليس « الصف » ويخطر المأمور بما حدث ويحضره معه لإنقاذ الملك .. وقبل أن أغادر المكان نادانى الملك وقبلنى مؤكداً لى أننى سوف أنجح فيما أنوى عمله الآن .

وبدأت أتحرك كشبح من شجرة إلى شجرة .. أبحث عن الرجال الذين أرسلهم «الباشا» لقتل الملك .. حتى عثرت على بعضهم ، ولما كانوا جميعاً مدنيين فقد كانت أصواتهم عالية وحركتهم بها الكثير من الفوضى .. ووجدت فرصتى كبيرة من جهة إحدى الفرق .. فأطلقت رصاصة على أميرهم أصابته فى ذراعه وتحركت بسرعة تجاه الفرقة الثانية وأطلقت رصاصة أخرى فأصابت أحدهم أيضاً .. ثم أطلقت عدة أعيرة بشكل عشوائى تجاه الجميع .

وبسرعة نشب القتال بيننا بالمدافع الرشاشة والبنادق .. ولما حمى وطيس القتال وقفت أنتظر مجموعة أخرى حضرت بسرعة لتشارك فى شرف قتل الملك .. وتسلقت شجرة بعيداً عن دائرة نيرانهم .. وتحولت الجزيرة الخلابة إلى جزء من جهنم .. ولما بلغ الحماس ذروته لديهم .. انسلخت بعيداً وعدت لموقعنا فى القصر وأخطرت الملك بما تم .. ولم يبق أمامى سوى « الباشا » الذى وضع حراساً أمام بابى الاستراحة .. وفوجئت به يندفع خارجاً منها بعد أن سمع أصوات طلقات الرصاص المنهمرة كالمطر .. وأرسل الحارس ليتبين ما

يجرى.. فأسرع مبعوث « الباشا » إلى الجماعات المتقاتلة .. وراح ينتهز فرصة توقف الضرب ليصيح بصوت عال منادياً إياهم بالاسم .. وبعد فترة بدأوا يردون عليه .. فطلب منهم التوجه إلى « الباشا » .

هنا .. طلبت من « خالد » و « مصطفى » أن يتعاملا مع أقرب نقطة حراسة لنحصل على أسلحتها .. وكان « خالد فوزى » مثلاً أعلى فى الفدائية مع البطل «أحمد عبد العزيز» .. لذا لم يدم الأمر طويلاً حتى كان الحارس مغمى عليه وفى يدى « خالد » سلاحه وخزانة الذخيرة الاحتياطية وأوراقه كلها (!!) .

ثم تحرك « مصطفى » .. وتكرر نفس الشيء وعاد وهو يضحك .. وجاء دورى فأخذت أراقب الاستراحة حتى لمحت « الباشا » يتوجه إلى دورة المياه التى تبعد عن الاستراحة .. وقبل أن يشعر أحد عاجلته بضربة من « دبشك » المدفع الرشاش فوق مؤخرة رأسه فسقط على الأرض .. فحملته على ظهرى وعدت به حيث يوجد الملك والزملاء .. ألقيت به أمام الملك بعد أن وضعت كمامة على فمه وأخذت أهزه بعنف حتى أفاق من إغمائه .. وما إن طالع وجه الملك حتى ظهرت عليه معالم الكره العنيف .. لكن الملك خلع حذاءه وضربه به على وجهه .. وطلب منا قتله فوراً لكننا لم ننفذ الأمر .. وشرحنا للملك أن وجود « الباشا» على قيد الحياة هو سبيلنا إلى النجاة .. واقتنع الملك .

رفعت الكمامة من داخل فم الرجل .. وأشرت إلى مسدسى الذى ألصقته بقوة فى رأسه قائلاً له : « كلمة واحدة خطأ سوف تتناثر جمجمتك فى أرجاء المكان » وطلبت منه أن يسير أمامنا حتى إذا اقترب أحد رجاله منا فعليه أن يخبره بأن الأمر قد انتهى وعليه أن يعود مع زملائه إلى منازلهم .

ولأن الرجل كان شديد الجبن فقد نفذ كل ما طلبته منه بأفضل صورة ممكنة فى مثل هذه الحالة .. ولما لم يكن فى استطاعتنا الذهاب إلى جهة « الصف » لأن رجاله هناك يعدون بالمئات .. فقد اتجهنا ـ بواسطة معدية النهر ـ إلى جهة « المقاطفة » واتجه الملك إلى أحد قصوره بعد أن عفا عن « الباشا » فتركناه يذهب إلى بلدته .. وطلب الملك منا ألا يذاع شيء عن هذه المغامرة . فأصبحت سراً من الأسرار حتى اليوم .

لم يكن إنقاذ الملك من الاغتيال فى جزيرة « فيشر » نهاية قصتنا مع « الباشا » فبعد أن تولى الحكم ركز هدفه الأول على تصفية الحرس الحديدى .. وكان أول عمل قام به أن طلب من الملك ـ رسمياً ـ حل هذه القوة السوداء المسماة الحرس الحديدى .. وكان رد الملك أنه لا يوجد عنده غير الحرس الحديدى .. ورغم ذلك استدعى الملك الدكتور « يوسف رشاد» وأمره بتصفية هذه القوة وليذهب كل إلى حال سبيله .. وأتصور أن « فاروق » كان يناور فى حل الحرس الحديدى .. لأن « يوسف رشاد » أبلغنا بأن هذا الأمر ليس إلا مجرد شكليات ـ على الورق فقط ـ لكننا سنظل أصدقاء وحماة للملك شاء أو لم يشأ .

ومن الغريب أننا بعد هذا الحل الوهمى .. كنا ذوى فائدة للملك أكثر من ذى قبل .. فقد نما إلى علم أحدنا أن هناك محاولة لإطلاق الرصاص على الملك عند الكيلو ٣٠ بطريق مصر ـ اسكندرية الصحراوى .. الذى كان الملك يهوى قيادة سيارته بنفسه عنده .

وجعلنا قاعدة عمليتنا الكيلو ٣٠ وخصصنا اثنين منا بملابس البدو بكامل أسلحتهما.. واثنين آخرين يسيران خلف سيارة الملك فى اليوم المحدد لتنفيذ العملية ـ يستقلان سيارة قوية ولا تغيب عن أعينهما سيارة الملك لحظة واحدة .. ثم اثنين من ضباط الحرس الحديدى ـ أيضاً فى سيارة أخرى تسبق سيارة الملك بفارق بسيط ..

كانت طبيعة الأرض عند الكيلو ٣٠ لا تكاد تختلف عن طبيعتها فى الطريق كله .. إلا أن هذا الموقع كان يتمتع بوجود عدة أكوام عالية من الرمال والصخور تطل على الطريق .. وقد تأكد لنا أنه تم اختيار هذه المنطقة لوجود هذا التحصين الاستراتيجى ..

أثناء السير ، لمح « خالد فوزى » ثلاثة من ضباط المرور المصرى يتجهون ناحية أحد الأكوام ويتوارون خلفه .. فلفت انتباهى إليهم .. ولما مضى الوقت دون أن تظهر عليهم أية نية لمغادرة المكان .. وقر فى نفوسنا يقين بأنهم من القتلة المأجورين لعملية الاغتيال .. وكنا فى وضع قتالى متفوق عليهم فنحن نراهم وهم لا يروننا .. وقد أردنا أن نحافظ على هذه الميزة حتى توفر لنا عنصر المفاجأة وبدأ القتلة يعدون بندقية كان من الواضح أن الذى سيستخدمها منهم « قناص » .. ففكرنا فى الهجوم عليهم وأخذنا نستعد وفجأة تذكرت أن هناك نقطة مرور على بعد ٢ كم من المنطقة التى نحن فيها .. فخطرت ببالى فكرة جريئة :

ناولت « خالد فوزى » سلاحى وكل ما معى من أوراق ونقود .. وزحفت بعيداً عن موقع القتلة حتى ابتعدت تماماً .. وأخذت أعدو حتى وصلت إلى هذه النقطة وقلت لمن بها : إن هناك ثلاثة من ضباط المرور سرقونى وأخذوا كل ما معى ورغم أنهم دهشوا جداً مما قلته إلا أن الضابط ومعه جندى ، طلب منى أن أتجه معهما فى سيارة داورية لاسلكية بوليسية كانت تمر بالمنطقة للموقع الذى أزعم .. وكانت لهجته تحمل طابع تهديد لى .. لكنهم لمحونا نتجه إليهم فخرجوا من مخبئهم واتجهوا ناحيتنا وحيوا ضابط الداورية الذى قال لهم ـ بحياء ـ إننى أزعم أنهم سرقوا كل ما أملك .. فكان ردهم إننى رجل مجنون ..

ويبدو أن شيئاً ما أثار فيهم ريبة الضابط فاستفسر منهم عن أسمائهم وأوراقهم لعمل المحضر اللازم بالواقعة .. لكنهم ارتبكوا وطلبوا من الضابط أن يذهب معهم إلى سيارتهم المعطلة ليطلع على أوراقهم التى تركوها هناك .. فازداد شك الضابط فيهم لأنهم رفضوا إجابته عن أسمائهم ورقم وحدتهم .. فكرر عليهم طلبه بلهجة خشنة .. فسكتوا لحظة ونظروا لبعضهم البعض .. وحاولوا استخدام مسدساتهم ضد الضابط .. لكن « خالد فوزى » كان قد وصل إلى جوارنا تماماً من الجانب الذى لم نره ولم يروه من شدة انفعالنا .. فرفع مدفعه فى وجوههم وحذرهم من أية حركة .. واندفعت تجاهه فأخذت مدفعى الرشاش الذى وضعه بجواره على الأرض .. وأمرتهم بالقاء أسلحتهم وإلا ..

وقبل أن يستطيع الضابط أن يفهم ما يجرى أمامه من أحداث متلاحقة بسرعة البرق .. أخبرته بأنهم قتلة مأجورون لقتل مولانا الملك القادم ـ الآن ـ من القاهرة فى طريقه للاسكندرية .. وما إن سمع الضابط ما قلت حتى رفع سلاحه ومعه الجندى ..

.. وأمر الضابط باقتيادهم معه إلى أقرب شرطة .. وطلب منى أن أصحبه وزميلى لكى يتم تحرير محضر بكل ما جرى ..

وقبل أن نتحرك من المكان مر الملك من أمامنا وأبطأت سيارته فأدينا التحية له .. فنظر إلى ضابط البوليس والرجال المصفدين وهم فى زى المرور وهز رأسه دليلاً على فهمه لما جرى .. وسار فى طريقه بعد ذلك محروساً بالعربتين وبهما باقى ضباط الحرس الحديدى .. ولم يكن هناك كمائن أو أربطة أخرى على الطريق .. لأن طبيعة الأرض لا تسمح بذلك .

وعندما وصل كل منا خطاب شكر ومبلغ خمسمائة جنيه .. علمنا أن الملك قد علم بالتفاصيل الكاملة لهذه المؤامرة من رجال البوليس السياسى الذى تولى التحقيق فيها .. والتى أوشكت على النجاح .. إذ لم يعلم بها أى من أجهزة الدولة قبل أن تقبض على الجناة .

وفى اعتقادى أن أخبار محاولة اغتيال الملك تسربت للشعب .. فسارت المظاهرات فى الشوارع .. بعضها ينادى بقتله وبعضها يهتف بحياته .. وانتهز الشيوعيون هذه الموجة فركبوها كعاداتهم .. وبدأت أحداث الشغب والنهب والسلب ـ على نطاق محدود ـ فى الجيزة والعباسية وأسيوط والاسكندرية .. أمامناطق الاخوان المسلمين والجماعات الاسلامية فقد سادها الهدوء .

- ٢ -

كنا نرتاب فى أى شخص يحاول التقرب منا بلا داعى .. لان الإنجليز كانوا يدسون بيننا العملاء لمعرفة أسرارنا .. ورغم كل الحذر فقد سقطت ـ بسهولة ـ فى يد عميل للانجليز .. كاد يتسبب فى قتلى أو اعتقالى .

ذات مرة .. تعرفت على الشيخ « محسن » فى حلقات الذكر وأوقات الصلاة بمسجد قريب من بيتى .. وانضم الشيخ إلى طريقتى الصوفية الحربية .. ولم يخطر ببالى أن ذلك الرجل الذى لا أراه إلا ساجداً لله يمكن أن يخون بلاده .. وكنت أنسى حذرى فى وجوده ، بل أجد نفسى سعيداً وأنا أخبره بالضربات التى نوجهها للإنجليز ..

ولم يساورنى أدنى شك وأنا أرى على وجهه أبلغ ملامح الراحة .. إلى أن جاء يوم تمكنت فيه و«خالد فوزى» من اختطاف ضابط انجليزى كان يتجول فى حى «السيدة زينب» حيث يقيم الشيخ « محسن » .. وانطلقت بالسيارة إلى صحراء حلوان وبجوارى الضابط الإنجليزى مكمماً ومكبلاً بالقيود بينما « خالد فوزى » خلفى فى سيارة أخرى أعدت لهذا العرض . وعند أحد منحنيات الطريق توقفنا بحيث لا يرانا أحد .. لكى نستكشف ما إذا كان هناك من يراقبنا أم لا .. وبعد أن اختفينا عن الأنظار فوجئنا بالشيخ

«محسن» يتبعنا ـ داخل سيارة أخرى ـ ويبحث عنا فى كل اتجاه ويلف ويدور هنا وهناك .. وأصابتنى دهشة بالغة مما أرى وأشاهد !

واتفقت مع « خالد فوزى » على أن اتجه بالضابط الانجليزى إلى صحراء حلوان حيث أتخلص منه وأقوم بدفنه فى الرمال .. بينما يتابع هو سيارة الشيخ « محسن » للوقوف على حقيقة الرجل .. حتى نقطع الشك باليقين .. على أن نتقابل ـ بعد ذلك ـ خلف « عين حلوان » .

وأنزلت الضابط الانجليزى من سيارتى .. وكان ـ حقيقة ـ شجاعاً رابط الجأش .. حاول أن يبصق على وجهى فلم أمكنه ، وأنهيت حياته ودفنته فى الرمال .. وإن لم تكن جغرافية المكان قد تغيرت فيمكننى أن أخرج هيكله العظمى الآن .

بعد أن أنهيت مهمتى أزلت أى أثر لكاوتشوك عجلات السيارة .. وأخذت غنائمى التى حصلت عليها منه بما فيها « مسدس » انجليزى قوى كنت أرغب فى أن أقتنى واحداً مثله .

وعدت أنتظر « خالد فوزى » فى المكان المتفق عليه خلف « عين حلوان » .. وما إن وجدته حتى أكد لى أن الشيخ محسن عميل إنجليزى .

قال « خالد » أنه تابع سيارة الشيخ « محسن » حتى ميدان الإسماعيلية ـ التحرير الآن ـ ونزل الشيخ من سيارته ودخل أحد المحلات .. ولانه لا يعرف « خالد فوزى » عن قرب فقد دخل خلفه المحل وشاهد الشيخ يتقابل مع شخص اسمه « إبراهيم » ثم أخذا يتهامسان وفهم « خالد » من بعض الكلمات أن الشيخ « محسن » يبلغ عن اختطاف الضابط الإنجليزى .

وخرج الاثنان على عجل .. وركبا السيارة ، واتجها إلى حى الأزهر ودخلا محلاً للبيع «الكوارع » وسرعان ما انضم إليهما صاحب المحل حيث دار حديث هامس بينهم لم يتبين منه « خالد فوزى » شيئاً .. ثم خرج صاحب المحل واتجه إلى حارة اليهود فى سيارة أجرة .. وهناك دخل محلاً كبيراً لصناعة الميداليات للرياضيين .. حيث قابل صاحب المحل ودخلا

حجرة خلفية فى مكتبه .. وكانت تحركات الشيخ « حسن » التى تابعها « خالد فوزى » تقطع بأن الرجل ضالع فى العمالة للإنجليز حتى النخاع !

وبعد أن انتهى « خالد فوزى » من حكايته .. ناولته خمسين جنيهاً قيمة نصيبه من غنيمة الضابط الإنجليزى المقتول .. وهو مبلغ يساوى ثلث الغنيمة .. وعرضت عليه ساعة الرجل لأننى أرغب فى اقتناء المسدس .. فوافق على أن أعطيه عشرين جنيهاً قيمة الفرق .. فلم أتردد فى دفعها له على الفور ..

واتفقنا على تصفية الخونة فى خلال شهر .. على أن نشرك معنا من يشاء من الحرس الحديدى .. لكن « خالد » رفض فكرة الإشراك .. لأن ذلك سوف يجعلنا نبلغ « يوسف رشاد » وبالتالى سيعرف « عبد الله صادق » ضابط المطافىء السابق الذى سيبلغ البوليس عنا .. مما يوقعنا فى مشاكل ليس هذا وقتها .

ووافقت ـ تماماً ـ على ما قاله « خالد » لأننى أدرك مدى كره « عبد الله صادق » لى .

بعد هذه الحادثة ـ بأسابيع قليلة ـ طلبنا من الشيخ « محسن » أن يصحبنا فى زيارة لمسجد « الحسين » وبعض مساجد آل البيت الكريم .. ثم طلبنا منه ـ فى مرة أخرى ـ أن يذهب معنا فى زيارة لضريح الشيخ « الجيوشى » وكنا نعرف أنه يقع فوق الجبل فى أرض فضاء لا يجاوره شىء .

وذات مساء .. وجدنا أنفسنا منفردين بالشيخ « محسن » فوق قمة الجبل .. وسألته ـ فجأة ـ عن مدى معرفته باللغة الانجليزية .. فدهش الرجل وظهر عليه الخوف لكنه رد على بالايجاب .. فسأله « خالد فوزى » عن صلته بالإنجليز وهو يضع « المسدس » فى الجانب الأيسر من صدره .. فانهار الرجل ـ تماماً ـ واعترف بأن الشيطان « ضحك عليه » فساعد الإنجليز فى موضوعين .. منهما حريق القاهرة .

وعرفنا منه الأسماء الكاملة للذين قابلهم بعد مطاردته لنا يوم خطفنا الضابط الإنجليزى.. وماهى إلا لحظات حتى أنزلنا طرف « العمامة » على عينيه ، ودفعنا به من حافة الهضبة .. وأزلنا آثار العربة ..

وبعد ذلك .. اتجهنا لتصفية « ابراهيم » الخائن الذى يعمل فى مطعم « ايزفيتش » بميدان التحرير .. والذى تبين من اعترافات الشيخ « محسن » أنه عميل مزدوج للبوليس السياسى وللانجليز .. وكان ابراهيم « حذراً جداً لا يثق فى إنسان إلا زوجته الراقصة غير المصرية التى يرسلها إلى كل راغب بأجر معلوم .

ولأنها كانت تكرهه فقد أخبرتنا بأنه مهرب غير منظم .. وكذلك مواعيد عمليات التهريب التى يقوم بها .. وفى إحداها قبضنا عليه متلبساً .. ولم يكذب الرجل بل أعلن ـ فى وقاحة يحسد عليها ـ أنه « تاجر معلومات » يبيعها لمن يدفع المقابل .. ولما كان الانجليز يريدون الحصول على أية معلومات فكان يؤلفها لهم .

ولم ينكر « ابراهيم » أنه ليس وطنياً .. لكنه نفى أنه خائن .. بل مجرد « بائع أخبار » مزيفة وأنه « جاهز » لكى يبيعنا أية معلومات عن الإنجليز أو حتى البوليس السياسى .

وبالفعل راح يتكلم عن وجود عملاء للانجليز ولإسرائيل فى حارة اليهود وأبدى استعداده لأن يمد الجيش المصرى بكل هذه المعلومات .. وعندما أخذناه إلى إحدى وحدات الجيش المصرى تكلم وأباح بمعلومات هائلة أوقعت الكثيرين من عملاء اليهود والإنجليز .. الأمر الذى دعانا إلى تركه يعمل فهو مفيد للمصريين أكثر منه مصرى وطنى !

* * *

فى إحدى أمسيات الخريف الرائعة .. جذبت انتباهى فتاة أمريكية بديعة التكوين خرافية الجمال .. تنساب كسمكة فى حوض السباحة بفندق « مينا هاوس » وبسهولة تعرفت عليها وظهر أنها ابنة أحد ملوك « الشيكولاته » فى أمريكا وقد حضر معها إلى القاهرة لتمضية أجازة طويلة فى بلاد الفراعنة .

ودعتنى الأمريكية إلى رحلة صيد على شواطىء السويس والغردقة .. وكانت سيارتها مزودة بعربة للنوم وجميع أدوات الرحلات وصيد السمك .. ولما كنت قد احترفت الصيد لفترة من حياتى .. فقد كنت سعيداً لتلبية هذه الدعوة فى صحبة واحدة من أجمل من فى الأرض فى نظرى

بالقرب من العين السخنة .. نصبنا الخيام .. هنا وهناك تناثرت عربات أخرى لشباب أمريكيين ومصريين ، بصحبتهم عدد قليل من شابات جمعية الشبان المسيحيين من القاهرة وأمريكا .. أوقدت النيران ووضعت اللحوم على « الشوايات » .. وسرعان ما ارتفع ضجيج موسيقى الجاز الراقصة . واندفع الشباب يرقصون .

ورغم أن معرفتى بهذا النوع من الرقص كانت قريبة .. فلم تكن لدى الرغبة فى مراقصة الأمريكية الشقراء .. بل جلست أتجاذب أطراف الحديث مع أبيها .. لكنها ما لبثت أن طلبت منى أن أراقصها .. وبدأت أداعبها بما أعرف من حكايات الاستعراض فى المراهقة لأعوض نقص خبرتى برقص الجاز .

وتوقف الشباب عن الرقص وداروا فى حلقة حولنا وراحوا يساعدوننا بالتصفيق الإيقاعى .. وظللنا فترة وأنا أمسك بخصرها بكلتا يدى وأتقاذفها حتى انتهت الرقصة .

انهمكنا ـ بعد ذلك ـ فى الصيد تحت أشعة القمر الفضية .. وبعد أن شبعنا ـ تماماً ـ من صيد الأسماك فى تلك الليلة .. طلبت منى الشقراء الجميلة أن أذهب إلى أحد الفنادق القريبة معها .. ولا أعرف ما الذى جعلنى أرفض طلبها فى هذه اللحظة .. وإذا بملامح وجهها تكتسى بحزن غريب .. فثار الشك فى عقلى .. وبدأت أرى الأمور بمنظور آخر .. وقفز إلى ذهنى استنتاج بغيض : لماذا لا تكون هذه الامريكية بريطانية تشارك فى عملية اصطيادى كانتقام عام أو شخصى ؟ ورغم رفضى الذهاب معها .. أحضرت السيارة لتأخذنا لأقرب فندق .. فما كان منى إلا أن تسللت كالجبان خلفها متخذاً من الخيام ساتراً حتى اقتربت من مكان وقوفها مع رجل تخاطبه بالانجليزية بصوت خافت .

ورغم أننى لم أتمكن من سماع كلمات الحوار .. لكن الطريقة والصوت الخفيض جعلانى أتأكد مما ساورنى من شك .. فقد كانت تشير له فى اتجاه الفندق وتجادله .. وكانت ملامحه من بعيد تؤكد أنه أجنبى مما أثار لدى الميل للعنف .. فعدت إلى المكان الذى تركتنى فيه .. وما إن حضرت حتى أخذتها بين ذراعى وقبلتها قبلة سريعة .. وقلت : لا أريد أن أركب سيارة ، سنسير على شاطىء البحر أفضل .. فابتسمت بخوف وخجل .. فأكدت لها أننى أهيم بالسير فى العراء عن التواجد بالفندق .. وجذبتها من يدها وسرت بها على الشاطىء فى طريق مضاد للطريق الموجود به الفندق .

وحاولت ـ مراراً ـ أن تثنينى عن هذا الطريق لكنى لم ألن للحظة واحدة .. وابتعدنا ـ تماماً ـ عن المنطقة المأهولة .. وجلسنا على الرمال فجذبتها إلى صدرى لكنها حاولت الدفاع عن نفسها .. فكان أمراً مثيراً للضحك لأنها كانت رغبتها منذ دقائق .. وهى الآن ترفض .

وقبل أن تمد يدها إلى حقيبتها الجلدية الفاخرة جذبتها منها وإذا بداخلها مسدس قوى مجهز للضرب فأخذته منها ومعه كل ما تحتويه الحقيبة من نقود وحلى .. وسألتها عمن تكون(؟) ولماذا حاولت إغرائى (؟) ومن الذى دفعها لهذا (؟) وهل ذلك المليونير المثقف والدها حقيقة أم أنها لعبة للتمويه حتى تصل لغرضها المكلفة به (؟) .

نظرت إلى فى دهشة ووجوم .. ولم تتكلم ، ولاحت فى عينيها نظرة خاطفة إلى الطريق الذى أتينا منه منذ لحظات .. فأمسكت بها بقوة حتى صرخت من الألم ، ونظرت إلى الطريق وجسدها ملتصق بى كدرع وبيدى الأخرى المسدس فى وضع الضرب .. فلم أر أى خيال لأى شبح قادم .. فجذبتها بسرعة إلى نقطة خفر السواحل القريبة والتى يرأسها أحد ضباط الجيش .. ولأننى كنت خدمت لفترة فى خفر السواحل فأنا أعرف كل شىء عن تلك الأنحاء والمناطق .. شبراً شبراً .

وشعرت بمنتهى الراحة والاطمئنان حين وصلت إلى نقطة خفر السواحل .. هناك وجدت « جاويش » وعدداً من الجنود .. فلما أخبرتهم برتبتى فى الجيش ظهر عليهم الاهتمام وحاولوا بذل أقصى ما يمكنهم لاشعارنا بالراحة حتى تمر الليلة .. لأن الضابط لم يكن موجوداً .

ولم ينقطع مرور السيارات أمامنا لحظة واحدة ذهاباً وإياباً .. ولم تقع أية أحداث حتى حضر الضابط فى الصباح فعرفته بنفسى والجميلة التى بصحبتى وفسرت له وجودنا بأننا كنا نسير للنزهة القمرية وأخافنا المد فتهنا .. وكان الضابط قد عرف بهذا عندما مر على معسكر الشباب الذى كانت به الفتاة الأمريكية فعرف من والدها المزعوم بخبر خروج ابنته مع شاب مصرى وعدم عودتها .

طلبت منى الحسناء أن أرافقها فى رحلة العودة فوافقتها بشرط واحد : « أن أعرف من

أنت » .. وبعد فترة ظلت فيها صامتة .. قالت إنها تعمل « ضابطة » فى المخابرات الإنجليزية وتريد أن تتحقق مما حدث مع كابتن « تج مارتي » ـ قتيل صحراء حلوان ـ وهل مازال على قيد الحياة أم لا (؟!) .

لم تنظر الفتاة إلى بل سارت فى طريقها ـ وقد امتلأت بحزن قاتل ـ تجاه معسكرها .. وأخذت أنا طريقى للعودة إلى القاهرة .

ولم أرها بعد ذلك مطلقاً .

الفصل الثامن

السادات أبلغ « ناهد رشاد »
بانقلاب يوليو قبل وقوعه !

- ١ -

لم تنته معى قصة الكونتيسة « زغيب » .. التى تعرفت عليها فى نادى السيارات عن طريق البرنس « عباس حليم » .. بل استمرت بعد ذلك لتكون « الكونتيسة » أول سيدة يطلب الملك تصفيتها .. لخيانتها لكل ما ائتمنت عليه من أسرار خطيرة .

تقابلت الكونتيسة مع الملك ، واستطاعت بما تملكه من جاذبية قاتلة .. أن تثير اهتمامه بها .. وبعد علاقة سريعة - كعادته - منحها « فيلا » ومبلغاً ضخماً من المال . وتحول حب الكونتيسة للملك إلى كره شديد .. لأن أطماعها لم تكن تقف عند حد .. فتحولت ضده بمنتهى القوة .. بل امتد شعورها بالكراهية إلى كل ما هو مصرى .. فراحت تشهر « على المكشوف » بالحرس الحديدى والملك فى وقت واحد .. وواجهت مصر بالعداوة .. وراحت تنال من الشعب .. بل لم ترحم شيخوخة النبيل « عباس حليم » وأطلقت لسانها عليه وعلى ابنتيه « ألفيا » و « نيفين » مما جعله يبكى فى صمت أثناء جلوسه أمامى فى نادى السيارات .

لم تكتف الكونتيسة الجميلة بكل هذا .. بل وصلت عجرفتها المطعونة إلى إهانة ضابط طيران مصرى فى « أوتيل بالاس » بمصر الجديدة .. وشاركتها الإهانة البارونة « إمبان » .. ولما تنبهت البارونة لخطورة ما فعلته رحلت على الفور من مصر .. أما الكونتيسة فقد انضمت إلى الانجليز بشكل علنى سافر .. فأخطرتهم بعمليات الحرس الحديدى القديمة والجديدة ..

كذلك فعلت بالنسبة للفدائيين .. فقد أخطرت الأعداء بكل تحركاتهم .. وكيفية تسليحهم ومساهمة الملك فى عمليات التسليح .. وقد حصلت « الكونتيسة » على كل هذه

المعلومات عن طريق اختلاطها بناهد رشاد وبعض ضباط الحرس الحديدى .. الذين كانت تقابلهم معنا فى نادى السيارات .. ساعدها فى ذلك سحرها الذى يفتك بقلب أى إنسان ويسيطر على عقله .

وفرض الإنجليز عليها حمايتهم .. وأخذوها إلى معسكراتهم بمنطقة القنال .. حتى لا تمتد إليها يد بالأذى .. ولكى تستطيع فى الوقت نفسه .. أن تهرب من يد السلطات المصرية.. لذلك طلبت السراى التخلص منها فى أسرع وقت .. رغم أن قتلها سيؤكد للإنجليز صحة المعلومات التى أدلت بها إليهم .. لأنهم كانوا فى شك من أن المصريين يمكنهم أن يرسموا خططاً بهذه الدقة وينفذوها بتلك القوة .

وتشكلت محكمة من الحرس الحديدى .. وقمت فيها بدور المدعى العام .. فطالبت بتوقيع حكم الإعدام على هذه السيدة .. بالوسيلة التى تتراءى للحرس .

وحاول محاميها أن يترافع عنها بإخلاص فقال : إن الملك قد « فتك » بها .. وكانت تحبه.. وبدلاً من أن يتزوجها ـ كما وعدها ـ اكتفى بأن أعطاها مالاً .. وهذا يكفى لتكملة الإهانة من جانب الملك .. فصححت به : ومن يؤكد هذا الاعتداء (؟!) إنها مجرد أحداث تروى فى دهاليز نادى السيارات .. يرددها سيدات عجائز كن يتمنين أن يغازلهن الملك .. ولما ترفع عنهن امتلأن غيظاً وكراهية له .. وأطلقت هذه « الكونتيسة » تلك الشائعة لترفع من شأنها .. إنها ارتكبت جريمة الخيانة العظمى وأمدت الإنجليز بأسماء ضباط الحرس الحديدى .. وأسماء الفدائيين وتحركاتهم .

وارتفع صوت هادر فى المحكمة : أين أصبحت هذه السيدة كونتيسة (؟!) وصممت على طلب الإعدام لها .. وصدرت الموافقة الجماعية من القضاة الثلاثة على الإعدام .. أما التنفيذ فقد أسند لمن « عليه الدور » .

وكان لابد من اخراجها من معسكرات الإنجليز حتى نتمكن من اقتناصها .. فبحثنا فى تاريخها ووجدنا أن لها صديقة مسنة هى ابنة أحد الباشوات واسمه « فاضل باشا » .. فذهبت إلى هذه الصديقة فى نادى السيارات بعد أن اتصلت بها لتحديد موعد لتلك المقابلة .. وعندما انفردت بها طلبت منها تسهيل مهمتى فى مقابلة الكونتيسة « زغيب » ..

وأكدت لها أنها إذا مكنتنى من هذه المقابلة فسيكون ذلك دينا فى عنقى للأبد .. وسأمنحها هدية تحددها هى من الآن .. فردت السيدة أنها تخشى أن ترفض الكونتيسة لأنها تعيش فى منطقة القنال خوفاً من الفدائيين .. فسألتها ـ باهتمام ـ عن سر خوف الكونتيسة من الفدائيين بالذات (؟!) فقالت : يبدو أن الكونتيسة قد أخطأت مرة وذكرت أن الفدائيين سيهجمون عن طريق منطقة « بوز القرد » .. ولم تكن تتخيل أهمية هذه الكلمة بالنسبة للإنجليز .. وكانت النتيجة أن أصيب بعض الفدائيين .. ومن يومها أصبحت الكونتيسة تخشى على نفسها .. وطلبت حماية الإنجليز لها .. لكنها تبكى ـ دائماً ـ لأنها تدرك أن المصريين لن يتركوها تفلت من العقاب .

وصارحتنى بنت الباشا بأن الكونتيسة تركت مجوهراتها لديها .. واتفقنا ــ فى النهاية ــ على أن تساعدنى فى مقابلة الكونتيسة .. وأن تبلغنى إذا نجحت محاولتها فى هذا وطبعاً كانت متأكدة أننى لن ألحق بها الأذى .

ورحت أترقب الأمور أنا و «خالد فوزى» و «حسن فهمى عبد الحميد» .. إلى أن اتصلت بى ابنة «فاضل باشا» وطلبت منى أن أحضر لمقابلتها فى نادى السيارات مساء اليوم نفسه .. وهناك كانت فى انتظارى .. وقد وجدت «محمود رشيد» المحامى الذى دعانا لطعام العشاء فى تلك الليلة ، وقبلنا .

وأخطرتنى السيدة عندما انفردنا سوياً .. بأنها طلبت من أحد ضباط السفارة الانجليزية أن يسمح لها بالاتصال بإحدى قريباتها المقيمات بمعسكرات الانجليز .. فطلب منها الضابط أن تترك اسمها ورقم تليفونها لديه .. حتى يمكنهم الاتصال بها .. ولم يمر من الوقت الكثير حتى حددوا لها موعداً على التليفون مع السيدة التى طلبت الاتصال بها .

وفى الموعد المحدد تمت المكالمة .. وسألتها الكونتيسة عن سر تلهفها على الاتصال بها.. فردت ابنة الباشا بأنها تنوى السفر لأداء « العمرة » .. وتريد أن تسلمها مجوهراتها قبل أن تسافر فلا أحد يضمن الظروف .

وردت الكونتيسة عليها بأن تنتظر منها مكالمة تليفونية أخرى خلال يومين على

الأكثر .. وأكدت عليها أن تظل هذه الاتصالات التليفونية سراً بينهما لا يعرفه أحد .

وطلبت منى ابنة الباشا أن أكون على اتصال بها خلال اليومين التاليين حتى تخطرني بموعد ومكان المقابلة مع الكونتيسة .. وقالت انه يمكننى أن أتزوج من الكونتيسة على وجه السرعة ما دمت أريد ذلك .. وعندما ظهرت علامات الاستفهام على وجهى لما تقول .. أجابت ابنة « فاضل باشا » إنها كانت ـ ترانى أتحدث معها فى نادى السيارات وأنها أدركت نيتى من إصرارى على مقابلتها ..

ودهشت لما تقوله محدثتى لأننى قابلت الكونتيسة ـ بالصدفة ـ وغازلتها بناء على رغبة النبيل « عباس حليم » .. حتى لا تشك زوجته فى أنها على علاقة به .. بل علاقة حب عنيفة .. لكنى تركتها ـ بعد ذلك ـ لعباس حليم .. لأننى كنت أحبه .. وبعد ذلك طلبت منى الكونتيسة أن أرافقها فى نزهات خلوية .. لكنى لم أتماد فى هذه العلاقة حفاظاً على صداقتى للنبيل « عباس حليم » .

ومع ذلك أكدت للسيدة المسنة أننى أحاول أن أتزوجها لأنها لا يمكن أن تعيش لدى الإنجليز طول العمر .

وأخذت أتردد ـ بشكل يومى ـ على قصر بنت الباشا .. إلى أن تم الاتصال بينها وبين الكونتيسة وتحدد موعد المقابلة فى التاسعة صباحاً بجوار فندق « مينا هاوس » .

وفى تمام التاسعة توقفت سيارة خاصة سوداء يقودها سائق إنجليزى .. وفتح بابها على الفور .. وأشارت الكونتيسة إلى السيدة المسنة بالركوب .. لكنى فاجأت الجميع .. باقتحام السيارة بسرعة خاطفة .. وأطلقت النار من مسدس صامت على السائق الإنجليزى ورميت به فى دواسة السيارة بعد أن انتزعت مفاتيحها من يديه المتشنجتين .. وقبل أن تفيق السيدتان من الرهبة الممزوجة بالدهشة .. كان « خالد فوزى » يجلس بجوارهما موجهاً مسدسه إليهما فلم ينطقا ببنت شفة .

وانطلقت السيارة فى اتجاه القاهرة .. وطلبنا من ابنة « فاضل باشا » أن تغادرها وأن تنسى ما حدث ـ تماماً ـ وإلا فهى تعرف النتيجة .

هبطت السيدة من السيارة وهى لا تصدق ما يدور حولها .. بعد أن تركت المجوهرات مكان جلوسها .. واتجهنا إلى « عزبتى » ولم تجد الكونتيسة أى قوة لديها تساعدها على السير فحملتها حملاً إلى الداخل ..

.. وبعد أن استعادت الكونتيسة قدرتها على النطق .. طلبت منا أن تمثل أمام محكمة الحرس الحديدى لتدافع عن نفسها .. وأعلنت أنها لا تطلب رأفة أو رحمة .. وإذا ما حاولت الهرب فإن من حقنا أن نقتلها على الفور .

ونظرت إلى « خالد فوزى » ثم قمت بحبسها فى إحدى غرف المنزل المعزولة .. وأدخلت معها زوجة الخفير لتحرسها فى الداخل وتلبى طلباتها إذا احتاجت .. ووقف زوجها على الباب المغلق بالمفتاح من الخارج .

وتداولت أنا و « خالد فوزى » فى طلب الكونتيسة الغريب .. ووصلت بنا المداولة إلى أن طلبها وإن كان غريباً إلا أنه عادل ويمكن تلبيته .. ونمتْ أنا و«خالد » فى الصالة التى بها باب الغرفة .. وفى الصباح نزل « خالد » لعرض الأمر على ضباط الحرس الحديدى . وبعد خروجه طلبت الكونتيسة مقابلتى وعرضت علىَّ مجوهراتها فى سبيل أن أدعها تذهب ولكنى رفضت بإصرار .

ورجع « خالد فوزى » ليبلغنى بأن المحكمة ستنعقد صباح اليوم التالى وسوف يحضرها الدكتور « يوسف رشاد » نفسه .

وفى اليوم التالى انعقدت المحكمة ، وقمت فيها بدور الادعاء .. فأوضحت التهم الموجهة للكونتيسة وشرحت كيف تستحق الإعدام لارتكابها الخيانة العظمى ضد الوطن وضد الملك .. وبعد أن انتهيت من سرد اتهاماتى .. طلبت الكونتيسة أن تدافع عن نفسها.. فنفت تماماً جرائم الخيانة العظمى وطلبت أن ترى الشهود الذين سمعوها تبلغ الإنجليز بأى معلومات عن الحرس الحديدى أو الفدائيين .. فقلت بانفعال : إن الانجليز ـ أنفسهم ـ هم الذين أذاعوا ذلك .. فقالت : إن الانجليز يكذبون ولو كانوا يعرفون أنى سأكون ذات فائدة لهم .. لما كشفوا عن شخصيتى ـ أبداً ـ أمام المصريين .. وعرضوا حياتى للقتل كما يحدث الآن .

وفوجئنا ـ جميعاً ـ بهذا الرد المفحم .. وأضافت الكونتيسة : أنها تطلب سماع رأى ابنة «فاضل باشا » التى أوقعتها فى هذا الموقف .. وكذلك رأى النبيل « عباس حليم » حول ما قالته عن الفدائيين ، وسوف يظهر للمحكمة ـ بوضوح ـ أنها لم تكن أبداً ضدهم .

ثم أضافت والدهشة تستولى علينا أنها طلبت ـ أكثر من مرة من النبيل « عباس حليم » التطوع مع الفدائيين .. فسألتها عن سر احتمائها بالانجليز طالما هذا موقفها ؟ فقالت : إنها بعد أن سمعت ما أذاعه الانجليز عنها .. فلم يعد أمامها سوى الاحتماء بهم حتى لايغتالها الحرس الحديدى أو الفدائيون .. لا سيما أنها ليست مصرية .

هكذا .. تهاوت الادعاءات كلها .. اتهاماً وراء اتهام .. فكانت لها البراءة بالإجماع .. وأعلنا باقى ضباط الحرس الحديدى والملك بهذا الحكم .

وما إن صدرت براءتها حتى أعلنت ـ بنفسها ـ فى الصحف .. براءتها مما يدعيه عليها الإنجليز .. مؤكدة أنهم أرادوا أن يجعلوها فريسة لأى وطنى غيور .. وأنها تحب مصر ورجال مصر . وأن الإنجليز هم الذين أحرقوا القاهرة !!

وكان استمرار علاقتى بها مع وجود « عباس حليم » الذى يحبها بجنون ... غير ممكن .

وبعد انقلاب يوليو لم أعرف عنها أى شىء ولم التق بها حتى الآن !!

ـ ٢ ـ

بينما كان أحد ضباط الحرس الحديدى عائداً ليلاً إلى «عزبة» والده ـ سيراً على الأقدام ـ من زيارة لصديق له يقطن قريباً من « العزبة » .. أطلقت النيران عليه من مدفع رشاش .. ولولا أن الضابط قذف بنفسه فى الترعة المجاورة . وأخفى نفسه بين أحراشها المتشابكة للقى حتفه فى الحال .

وفى الصباح خرجت جريدة يمولها إقطاعى معروف تعلن مقتل ضابط الحرس الحديدى وتتقدم بالعزاء لمولانا الملك .. وكان هذا تحديداً قاطعاً للجهة التى قامت بعملية الاغتيال .

وسأل الملك عن اسم الضابط المقتول .. فقيل له إن أحداً لم يصب .. بل إن محاولة

القتل فشلت تماماً .. فضحك الملك وطلب ـ بسعادة ـ إرسال هذا الإقطاعى ليرعى «القرود » فى جهنم .

ووافق جميع ضباط الحرس الحديدى على طلب الملك .. إلا أنا .. رغم أننى كنت المقصود بتنفيذ عملية القتل .

وبدأنا نحاكم هذا الإقطاعى .. فظهر لنا أنه كان يعتقد أن الملك قتل ابنه الطبيب الشاب لكى يستأثر بزوجته الحسناء .. وكانت إشاعات قوية قد ملأت البلد عن خيانة امرأة الطبيب له مع الملك .. اذن .. فقد كان الإقطاعى مجرد شخص ينتقم لابنه القتيل ظناً منه أن الحرس الحديدى هو الذى قتله .. لهذا فهو لا يستحق القتل .. كما كان منا إلا أن أرسلنا إنذاراً له بأن يكتفى بفعلته وإلا لحق بإبنه .

وكان من الممكن أن تنتهى الأمور عند هذا الحد .. لكن صحيفة أخرى خرجت علينا تقول : « أطلقت نار الخيانة والغدر على أحد الضباط النابهين .. الذين أبلوا بلاء حسنا بفلسطين بقصد قتله .. لكن ـ لحسن الحظ ـ لم يقتل بل لم يصب بأى شىء » .

كان هذا معناه أن يعود القاتل القديم إلى محاولة قتل الضابط مرة ثانية .

ولم يعد أمامنا سوى مهاجمته دون قتله حتى لا يعاود التفكير فى الثأر .. وفى إحدى جولات ذلك الإقطاعى فى « عزبته » .. وجد نفسه محاطاً بثلاثة مدافع رشاشة يحملها رجال ملثمون .. وأسقط فى يد الباشا .. فبادرته بقولى ناصحاً : « يا سعادة الباشا .. إن حياتك تحت يدنا الآن وفى كل لحظة .. و من السهل جداً أن نرسلك إلى الآخرة فى أسرع وقت » .

فصاح الباشا : « وماذا تريدون ؟!» .

فقلت له : إن عليه أن ينسى حكاية الانتقام وإلا انتهت حياته .. لأن من يظنه قاتلاً لم يمس شعرة من ابنه .. فأدرك الباشا أننا من الحرس الحديدى وأن حياته معلقة بخيط رفيع للغاية .

وأكدنا له أنه إذا فكر فى أن يلمس شعرة واحدة من أى من ضباط الحرس الحديدى .. فسوف « نشويه » حياً هو وجميع أقاربه .. وليتأكد أننا لم نقتل أو نتعرض لابنه الفقيد أبداً .

وسكت الرجل ولم ينطق بكلمة .

ومرت الأيام ولم يتعرض الباشا لأحد .. ويبدو أنه وعى الدرس جيداً .. لأن الذين رفضوا قتله ـ وكان يمكنهم ذلك ـ لا يمكن أن يكونوا هم قتلة الطبيب .

ـ ٣ ـ

لم نكن نتصور أننا سنجد أنفسنا ـ ذات يوم ـ فى موقف لا مفر منه من اقتناص النقود الملكية .. لكن شاءت الأقدار أن يكون حرس الملك هم قناصوه .. فبعد حريق القاهرة أخطرنا « يوسف رشاد » بأن طائرة ستقلع من القاهرة حاملة مجوهرات الملكة .. لتسليمها إليها شخصياً .. وكان علينا حراسة هذه المجوهرات وهى تغادر المطار .. خشية أن تتعرض للسرقة .

واجتمع أعضاء المحكمة الوطنية العسكرية .. وانتهى بهم النقاش إلى عدم الموافقة على سفر هذه المجوهرات فهى ملك للشعب لا لأسرة محمد على .. وليس للملكة ـ نفسها ـ حق الاستيلاء عليها .. فقد تركت مصر نهائياً .

ولم يكن أمامنا الا تدبير خطة مزدوجة نستولى بها على المجوهرات ، وفى الوقت نفسه يظهر ـ من خلالها ـ مجهودنا فى حمايتها !

كان على الحرس الحديدى أن يضمن وصول رجل طويل القامة يحمل حقيبة صفراء إلى المطار .. ثم نظل نراقبه إلى أن يدخل الطائرة دون أن يتعرض لأى تفتيش أو مخاطرة .

وقبيل المطار .. نزل الرجل المقصود من العربة « الليموزين » .. كانت ملامح وجهه تؤكد أنه من أصل يهودى .. وتقابل الرجل مع آخرين .. وحدث شىء لم يكن فى الحسبان.. فقد استبدلوا الحقيبة التى يحملها بحقيبة أخرى مماثلة تماماً .

ونظرت إلى « مصطفى صدقى » و« خالد فوزى » بتفاهم تام .. فسار « خالد » خلف الرجل طويل القامة .. أما الرجل الذى أخذ الحقيبة الحقيقية فلم نجعله يخرج ـ أبداً ـ من القاهرة .. وانتقلت الحقيبة بما تحتويه إلينا .. وعندما فتحناها وجدناها مليئة بالمجوهرات الحقيقية .

وعاد « خالد فوزى » ليؤكد أن الرجل طويل القامة قد غادر القاهرة إلى الخارج ومعه الحقيبة المزيفة .. وكانت عملية سرقة واضحة يتم فيها استبدال المجوهرات الملكية الحقيقية بأخرى زائفة .. ليسافر بها طويل القامة إلى الخارج حيث تتسلمها الملكة الهاربة فى أمريكا.

أما حامل الحقيبة الحقيقية .. والذى اتضح أنه يهودى قبل أن نزهق روحه كان مقرراً أن يسافر بالمجوهرات الحقيقية لبيعها فى إيطاليا .. بعد تحويلها إلى قطع صغيره يصعب التعرف عليها !

واتفقنا ـ بعد نقاش طويل ـ على أن نقوم ببيع هذه المجوهرات ـ قطعة قطعة ـ لمليونير مصرى .. ثم نقوم بتوزيع الثمن على أفراد الحرس الحديدى .. على ألا يعرف بهذا إلا ثلاثتنا نحن الذين قمنا بقتل اليهودى والاستيلاء على المجوهرات الحقيقية .

وبالطبع لن يشك فينا أحد لأن المجوهرات الزائفة ستصل إلى الملكة .. حتى لو اكتشفت ـ يوماً ـ أنها زائفة فلن تشك فينا أبداً .

الطريف .. أن خطابات شكر من الملك .. قد وصلتنا بعد ذلك مصحوبة بمبلغ من النقود .

مرة ثانية .. وجدنا أنفسنا قاب قوسين أو أدنى من الأموال الملكية .. ولم تكن هناك من وسيلة لحل الموقف المتأزم إلا أن نحصلها لأنفسنا .. فقد رفض الفلاحون سداد قيمة إيجار الأراضى الزراعية للخاصة الملكية .. وعندما همت الخاصة بطردهم من الأراضى هاجت الدنيا وتوتر الموقف .. ورأينا شيئاً يشبه الثورة الفرنسية ضد الملك والنبلاء .. وووجهت الخاصة الملكية ـ فى هذه الأنحاء ـ بثورة حقيقية من الشعب .. وخرج الفلاحون ينادون بسقوط الملك والملكة .. فصدرت لنا الأوامر بإنقاذ ما يمكن إنقاذه ومراقبة سير الأمور .. وكانت فرصة .. فالنفوس تغلى ، والثورة على الأبواب ، والملك يستعد للهرب ، والجيش يتجهز للانقضاض على الجميع .

وارتدينا الجلاليب .. كما يرتدى الفلاحون .. واختلطنا بهم .. وعرفنا أن أغلبهم ليس جاداً فيما يفعل وإنما يسير فى « الزفة » لعله يحصل على شىء .. وأخذ « العمد » يهدئون

النفوس ممسكين بالعصا من منتصفها .. ولم نترك « الصيارفة » عند تحصيلهم ثمن المحجوزات التى وصلت إلى مبالغ كبيرة .. وما إن انصرف الجنود حتى لمح كبير الصيارفة تجمعاً للفلاحين يقترب .. فخشى على نفسه وعلى النقود .. وألقى بالحقيبة المكتظة بالنقود فى حقل القصب المجاور ..

وما إن ألقيت الحقيبة حتى أمسكنا بها ـ وكنا أكثر من أربعة ضباط ـ وأسرعنا بالفرار بين أعواد القصب .. وتركنا الصيارفة يواجهون غضبة الفلاحين عندما لم يجدوا معهم النقود .. لكن كبير الصيارفة أبلغهم بأن قائد الجند أخذ النقود وانصرف .

وفى الصباح توجهنا لتسليم النقود فى مركز البوليس الذى تتبعه أراضى الخاصة الملكية .. لكننا فوجئنا بالمركز كومة من الأنقاض وقد قتل المأمور وعمدة الناحية وظهرت أمامنا الثورة تكشف عن مخالبها القاسية .. ولم يكن أمامنا إلا اقتسام الحقيبة المنتفخة بالنقود .. حتى نتمكن من الاستمرار فى دورنا « التاريخى » .

ـ ٤ ـ

عاد القصر ـ مرة أخرى ـ يطلب بالحاح تصفية « محمد نجيب » .. وكان لابد من القيام بعمل يمنع هذا الطلب إلى الأبد .. ويوقف هذا التيار الذى يمس ضباط الجيش ، الوطنيين بالذات .. أخطرت ضباط الحرس الحديدى بضرورة مقابلة الملك لأمر لا يحتمل التهاون أو التسويف .. لكن الدكتور « يوسف رشاد » رفض تماماً .. لأنه إذا وجدت صلة مباشرة بيننا وبين الملك ضعف دوره كوسيط ونضب عنه « شلال » الذهب المنحدر إلى «جيبه» من الخزينة الملكية .

ولم يعد هناك بد من مهاجمة الوسيط .. لكن الدقة المتناهية فى حساب ذلك كانت مطلوبة .. لأن الصلة قد تنقطع ـ نهائياً ـ بيننا وبين الملك إذا ما جانبنا التوفيق .. وحتى نصل إلى صيغة مشتركة .. اجتمعنا ـ حسن فهمى وخالد فوزى ويوسف حبيب ومصطفى صدقى وأنا ـ وكنا نشكل العصب الحقيقى للحرس الحديدى .. وطرحت عليهم أهمية أن نقابل الملك لنشرح له حال البلد والجيش والشعب فالكل يغلى ويتجه إلى الثورة .. بينما هو

غارق فى سهراته بنادى السيارات ومستشفى المواساة بالاسكندرية مع الدكتور النقيب «يوسف رشاد » ..

وسألنى « مصطفى صدقى » : هل أنت متبنى هذه المسألة ؟! فكان ردى عليه بالإيجاب .. فسأل مرة أخرى .. هل أستطيع أن أواجه « ناهد هانم » بهذا الأمر ؟ فقلت : نعم .. رغم أن هناك بعض الحرج .. لكن لمصلحة الوطن أفضل المقابلة مباشرة مع الملك .. ويفضل ـ أيضاً ـ وجود مكان آخر للاجتماع .. ويمكن أن يكون منزل أحدنا ..

فرد « مصطفى صدقى » : هذا يعنى أنك لا تريد الدكتور « يوسف رشاد » أن يكون حلقة الوصل ؟! ثم قام ـ منفعلاً ـ وأحضر « ناهد هانم » التى وجهت إلى نظرة ثابتة تحمل الكثير من العتاب .. قائلة : ما الذى تطلبه يا « سيد يا جاد » ؟ فقلت وأنا أنظر إليها بنفس النظرة : سيدتى .. إنكم وقعتم فى الكثير من الأخطاء .. ولابد أن ننجيكم من الأخطار القادمة .. و«مصطفى صدقى » لا يعلم إلا الظاهر من الأمور .

وصمتت السيدة ـ كعادتها ـ تفكر ثم قالت : ما هو ـ إذن ـ العميق من الأمور ؟ فقلت: سيدتى ان الملك فى طريقه متاعب خطيرة قد تؤدى إلى تمرد الجيش وثورته .. وهؤلاء الضباط المخلصون قد بحث كل منهم عن واحد من الضباط الأحرار ليحميه إلا أنا .. وأن الثورة قادمة لا محالة ، سواء من الجيش أو الشعب إن لم يكن من الطرفين معاً .. وستكون ثورة حاسمة لن يوقفها أحد لا الانجليز ولا الأمريكان فكلاهما لا يحب الملك .. الذى لن يتحمل أى هزة وسيهرب ـ لا محالة ـ ويترككم للثوار .. وبالتالى ستجدون أنفسكم فى موقف خطير .. أليس من الرحمة والتعقل أن أطلب إخراجكم من هذا المأزق الجهنمى .. ليعلم القوم أنكم لم تكونوا ـ إطلاقاً ـ حلقة اتصال .. وبذلك تجتازون هذه المحنة ؟ .

وأشرت بيدى إلى « مصطفى صدقى » وقلت : ألم يلجأ إلى « كمال الدين حسين » متخلياً عن الحرس الحديدى والملك . بل قدم إليهم معلومات ضد الحرس الحديدى ليلقى بمسئولية أى جريمة على باقى الضباط .

ونظرت السيدة « ناهد رشاد » إلى « مصطفى صدقى » الذى لم يكن يظن أننى أعرف كل هذه المعلومات .. فتلون وجهه ولم يستطع أن يرد بكلمة واحدة .. ومع ذلك انفض الاجتماع بلا أية نتيجة !

تسببت راقصة مشهورة ـ مازالت على قيد الحياة ـ فى جر « مصطفى صدقى » إلى أوكار الشيوعية .. وكان عليه أن يدافع عن نفسه لكنه فشل .. ووقع فى مأزق لأن المبادىء الشيوعية ممنوعة قانوناً .

وكانت « ناهد هانم » ذكية فقد شعرت بعمق الانقسام الذى حدث للحرس الحديدى.. وكان « مصطفى صدقى » يشعرها ـ دائماً ـ بأنه بطل .. فركنت إليه كل الركون.. لكنها ما لبثت أن شعرت بما كان ينتويه فبادرت بالاتصال بأنور السادات .. وكان يتميز بأنه شديد الدهاء .. فسرعان ما ركب الموجة .. ورغم أنه كان ـ أيضاً ـ رجل تنفيذ شديد الخبث قوى الشكيمة ..

أخبرتنى « ناهد رشاد » بأن « أنور السادات » أبلغها بأن الجيش على وشك الانقضاض عليها وأبدى لها الاحتمالات الكبيرة لوقوع ذلك .. وبدأ كل فرد من ضباط الحرس الحديدى .. يبحث عن آخر من الضباط الاحرار ليحمى ظهره .. ويكون سنداً له لكى تقبل عودته إليهم .. وأخذ ضباط الحرس الحديدى يتملصون من أوامر « يوسف رشاد» لدرجة أننى رأيت ـ مرة ـ السيدة « ناهد رشاد » وهى تبكى .. فسألتها عن السبب.. فقالت إن الأمور تغيرت كثيراً ..

وانصرف الناس كل يلتمس لنفسه مخرجاً فحسن فهمى تزوج وابتعد .. و «يوسف حبيب» هاجمته عدة متاعب شديدة .. و«مصطفى صدقى » لم تعد تستهويه مناظر البطولة الكاذبة .. و«خالد فوزى » غرق فى مغامرات غرامية ولجأ إلى « كمال الدين حسين » الذى رحب به ضمن الضباط الأحرار .

أما أنا فقد ذهبت أخطط لقيام تغيير فى الطرق الصوفية .. بينما كان الأفراد الجدد الذين أدخلوهم .. مجموعة من الضباط الانتهازيين طالبى الثروة والنفوذ .. ولا يتحملون رؤية الدماء ومناظر النسف والقتل !

كانت الغيوم تتلبد فى سماء الجو السياسى .. الوزارات تتلاحق ، والملك ـ كعادته ـ لآهٍ عن كل شىء .. يوم فى الاسكندرية وآخر فى القاهرة .. وبدأ الحرس الحديدى فى التفكك الفعلى .. فلم نعد نتقابل تقريباً .. وانتهت صلة الدكتور « يوسف رشاد » بنا .. حتى « عبد

الله صادق » ضابط المطافىء الخائن .. أصبح لا يرد التحية إذا ما تصادف وتقابلنا .. أما باقى الضباط فقد انصرف كل منهم إلى ضابط من الضباط الأحرار - كما قلت - يسير فى ركابه ليحمى نفسه عند الانقلاب المتوقع .. ولم يكن أحد يغفل عن الضباط المشتركين فى هذه العملية خاصة الشبان .. أما « محمد نجيب » فكان أقربهم إلى قلب الشعب فتعلق به

وتقدم الشيوعيون - كعادتهم - وبدأوا حركة الانقلاب، وهاجم «يوسف منصور صديق» الملك فاروق .. ولم يكن الباقون من الضباط الأحرار يمكنهم بدء الحركة إذا كنت قد تركته للحرس الحديدى عند اكتشافه .. فهم دائماً يتملكهم الجبن ساعة التنفيذ .. وخافوا أن ينقلب الأمر عليهم فيعدموا .

وعندما قام « يوسف منصور صديق » بالحركة التنفيذية كان ضباط كثيرون ممن يعتبرون أنفسهم أبطالاً وأنصاف آلهة .. يرتدون الملابس المدنية ، وعلى استعداد للفرار إذا ما وقف قطاع من الجيش لمقاومة الانقلاب .. ورغم أن هناك كثيرين كانوا يريدون ذلك إلا أن الملك وقف فى وجههم .. لان رغبته فى الاستمرار فى الحكم كانت قد انتهت .

عند هذا الحد ارتدى الجميع جلود الأبطال .. ووقفوا يخطبون فى جماهير الشعب ، وكانت أصواتهم عالية بدرجة جعلتهم يصدقون أنفسهم ويصيحون بأنهم « كل شىء » .

أما أفراد الحرس الحديدى فكم رأيت منهم العجب العجاب : « حسن فهمى عبد المجيد» انقلب إلى جمهورى متطرف (!!) ، « مصطفى صدقى » أصبح ثائراً من الثوار(؟!) «خالد فوزى » داعية خطير من دعاة الثورة (!!) « عبد الله صادق » كونستابل البوليس - أصبح مرشداً أميناً للنيابة والبوليس (؟!) .. « يوسف حبيب » انزوى وحيداً فريداً ينعى أمجاد الماضى .. ومد له أصدقاؤه القدامى يد المعونة فوهبوه وظيفة فى الحقل الرياضى خير من وظيفة الجيش .. والباقون تنصلوا - برشاقة بالغة - من ماضيهم وتحولوا إلى دعاة للثورة .. وراحوا يصفقون لجمال عبد الناصر الذى ضاق ذرعاً بمحمد نجيب فنحاه جانباً .

أما أنا فاعتقلت وألقى بى فى أعماق السجون .. وحولت إلى المحاكمة وتنحى عنى الجميع !

لكن الأدلة كلها كانت فى صفى .. تشير ـ بوضوح ـ إلى صحة ما أقوله .. فكل الاتهامات التى وجهت إلى كانت من جانب المخابرات الإنجليزية .. مخابرات العدو المحتل !

وبعد أن خرجت من المعتقل وحاولت أن أوضح موقفى من الحرس الحديدى فى كتابى « شريد العاصفة » .. منع نشره السيد « زكريا محيى الدين » .. لأنه لم يكن يريد تفسير موقف الحرس الحديدى .. بل كان يريد تلويثه إلى الأبد .

ومازلت أتساءل : كيف قبلوا بينهم ـ وهم الأحرار ـ « خالد فوزى » و « حسن فهمى عبد المجيد » كسفيرين بعد الانقلاب ؟ فهل ما فعلته أنا يزيد عما فعله كل منهما ؟!

ورغم ذلك أرسلت نسخة من « شريد العاصفة » الذى منع نشره « زكريا محيى الدين » إلى « جمال عبد الناصر » فرد على ببطاقة خاصة به مدون عليها كلمات شكر شخصى منه لى.. ومع ذلك ظل الكتاب مصادراً !!

ليس لدى أقوال أخرى !

أنه فى يوم ١٩ يناير ١٩٨٨ .. الساعة الواحدة ظهراً .. تم تحرير هذا المحضر بأقوال السيد / سيد جاد .. آخر ضباط الحرس الحديدى .. لتوضيح بعض ما جاء فى مذكراته .

س : اسمك وسنك وجهة ميلادك ؟

جـ : سيد جاد عبد الله سالم .. من مواليد ١٥ ابريل سنة ١٩١٦ .. جهة الميلاد عزبة «جاد أبو سالم » التى تتبع « المقاطفية » مركز « العياط » محافظة الجيزة .

س : حالتك الاجتماعية ؟

جـ : متزوج .. ولدى ستة أبناء انتهوا ـ جميعاً ـ من دراساتهم العالية .

س : متى التحقت بالكلية الحربية ؟

جـ : فى ديسمبر من عام ١٩٣٩ .

س : ما الكتيبة التى التحقت بها بعد تخرجك ؟

جـ : الكتيبة السادسة بنادق مشاة .. وكان « جمال عبد الناصر » أركان حربها الإدارى . بينما كان « محب عبد الغفار » أركان حربها للعمليات .

س : ما ظروف انضمامك للحرس الحديدى ؟

جـ : كنت فى مستشفى غزة العسكرى .. وصادفت سيدة جميلة ترتدى الملابس العسكرية برتبة « صاغ » وقتها .. وإذا بالحديث ينتقل إلى محاولة اغتيال « النحاس باشا » التى نشرت بالجرائد ووصلت إلى « غزة » .. ولم تكن الطريقة التى تمت بها المحاولة تعجبنى .. فقد نسف بيته وقتل الأبرياء خطأ .. وسألتنى هذه السيدة ـ واسمها ناهد هانم رشاد ـ عن موقفى إذ ما كنت فى موقع محاولة الاغتيال .. فقلت لها ضاحكاً : طالما هناك مكسب وراء الاغتيال لقمت بالتنفيذ على الفور .

وفى المساء .. انفردت بى « ناهد هانم رشاد » وسألتنى عن مدى استعدادى للعودة إلى القاهرة للمشاركة فى عمل آخر لم تبين لى طبيعته .. وكان ردى فى صيغة سؤال عن المقابل الذى ستقدمه لى .. فردت بأنه سيكون لى مركز مرموق فى مصر .

س : هل وافقت على الرجوع إلى القاهرة ؟

جـ : نصف موافقة .. فقد كانت لى طلبات لابد أن أحصل عليها قبل أى شىء آخر .

س : ماذا حدث بعد ذلك ؟

جـ : فى اليوم التالى ـ مباشرة ـ لعرض السيدة « ناهد رشاد » .. وصلت إشارة من القيادة العسكرية فى القاهرة تتضمن عودتى ـ فوراً ـ لأننى مصاب فى العمليات العسكرية .. وحاولت أن أتملص من العودة .. لكن الأوامر كانت مشددة .

س : بعد عودتك إلى القاهرة .. كيف تم الاتصال بك ؟

جـ : فى صباح اليوم التالى لوصولى إلى القاهرة .. حضر إلى معسكرى فى الجيش .. ضابط بوليس اسمه « عبد الله صادق » راكباً سيارة فاخرة مكتوباً عليها « ٢ ـ سرايات » وكان برتبة ملازم أول رغم كبر سنه .. وطلبنى للخروج معه لأن هناك من يريدون مقابلتى .. ولفت نظرى لأن أستمع إلى الراديو فى ساعة حددها لى .. لأن هناك أمراً يهمنى .

س : وهل خرجت معه ؟

جـ : نعم .. لأننى ـ كضابط جيش ـ أميل إلى المواجهة .. وعندما وصلنا إلى شارع الملك ـ مصر والسودان الآن ـ بحدائق القبة .. صعدنا إلى شقة وجدت بها عدداً من ضباط الجيش أعرفهم .. هم : عبد الرءوف نور الدين ومصطفى كمال صدقى وعبد المنعم عبد الرؤوف بالاضافة إلى الدكتور « يوسف رشاد » صاحب الشقة والسيدة حرمه «ناهد رشاد» وكان معى « عبد الله صادق » .

س : ماذا دار فى تلك الجلسة ؟

جـ : طلب منى «عبد الرءوف نور الدين » أن ننتقل إلى حجرة ثانية من الشقة .. ولما أصبحنا منفردين قال لى : « يا سيد يا جاد .. الجماعة دول عايزينك عشان تحارب فى القاهرة » .. فضحكت وقلت هنحارب مين فى القاهرة ؟! فأوضح لى أن هذه المجموعة تتبع الملك « فاروق » وتنفذ تعليماته عن طريق الدكتور « يوسف رشاد » والسيدة حرمه .. فقلت له : هل قمت أنت بالعمل على إحضارى إلى القاهرة ؟ فرد على بالإيجاب ، وفسر ذلك بأنه لا يستريح لباقى المجموعة .. وقال إننى سأكون

ذراعه الأيمن .. فلم أتمالك نفسى وسببته بانفعال ثم قلت له : ولماذا لا تكون أنت ذراعى الأيمن (؟!) فوافق على هذا بشرط أن أنضم إليهم على الفور .

س : ماذا حدث بعد ذلك ؟

جـ : جاء « مرتضى باشا المراغى » ووجه كلامه إلى طالباً منى أن أكف عن الضجة التى أصنعها لأننى سأقوم بعمل وطنى فى القاهرة .. ضد ناس أخطر من يهود اسرائيل . وأننى إذا لم أفهم ذلك فيمكنهم أن يضعونى فى السجن .. ولما لم أرد عليه .. تغيرت لهجته من الحدة إلى النعومة وقال : لقد اعتبرناك واحداً منا يا سيد .. أما أخوك ضابط البوليس الذى يريد أن ينقل إلى القاهرة .. فسوف أنقله لك فوراً .

وقام « مرتضى باشا » وأمسك بسماعة التليفون واتصل بالداخلية وأمر بنقل أخى فوراً من أسيوط إلى المرج .. وتم تنفيذ النقل فى اليوم التالى مباشرة .. ثم سألنى «مرتضى باشا » ان كنت أريد نقوداً (؟!) فقلت له : لا .. فقال : نحن نعرف أنك لست ممن تجذبهم النقود . لكن إذا أردت أى شىء فاطلبه من عزبة « فيشر » .. فرفضت هذا العرض أيضاً لأننى سأكون فى هذه الحالة مأجوراً .

س : وماذا بعد هذا اللقاء الثلاثى بينك وبين عبد الرؤوف نور الدين ومرتضى باشا المراغى ؟

جـ : عدنا مرة أخرى حيث يجلس الجميع .. وأحضر الدكتور « يوسف رشاد » غداء فاخراً من « جروبى » وبعد العشاء عدت مرة ثانية إلى الثكنات .

س : كيف كانت الأوامر تصدر لكم بتنفيذ عمليات القتل ؟

جـ : كنا نذهب إلى بيت الدكتور « يوسف رشاد » بصورة شبه مستمرة .. دون تحديد موعد أو حتى اتصال تليفونى .. لكن عندما تكون هناك عملية يحضر إلينا « عبد الله صادق » ويطلب منا التوجه إلى منزل الدكتور « يوسف رشاد » فى الوقت الذى يحدده .

س : من كان أول اسم طلب منكم قتله بعد انضمامك للحرس الحديدى ؟

جـ : مصطفى باشا النحاس .

س : كيف كان أسلوب تحديد الشخص المطلوب لكم .. هل كانت الأوامر شفهية أم مكتوبة ؟

جـ : بالأمر الشفهى ومرة واحدة رأيت ورقة فى يد الدكتور « يوسف رشاد » .

س : من كان صاحب فكرة القيام بتمثيلية قتل النحاس باشا ؟

جـ : أنا .. فقد كنت شديد التأثر بدراسة الحقوق .. وكنت أعتقد أن « النحاس باشا يستحق القتل لأنه يمثل « سعد زغلول » . و«سعد باشا » كان وطنياً .. فلم أجد ، لقتله .. والدليل أننى كنت على بعد خمسة أمتار منه والمدفع فى يدى ومع ذلك أقتله .

س : كم كان عدد أفراد حرس «النحاس باشا » الذين أصيبوا فى هذا الحادث ؟

جـ : على ما أتذكر .. ثمانية أو تسعة أفراد تقريباً .

س : ما دور « ناهد رشاد » ؟

جـ : نفس دور زوجها الدكتور « يوسف رشاد » وكان لها الحق ـ معه ـ فى إصدار الأواه بل كانت تتولى الأمر كله عندما لم يكن موجوداً .

س : ألم يكن لكم مكان تجتمعون فيه جميعاً ؟

جـ : مجموعة الضباط كانت تجتمع فى حجرة قريبة من جامعة فؤاد ـ القاهرة الآن ـ و يوجد تليفون لدى أصحاب البيت .. يخبروننا عن طريقه بأن فلاناً تحرك .. فنست السيارة السوداء التى تنتظرنا بالقرب من هذه الحجرة وننطلق فى اتجاه الشخ المطلوب .

س : من كان يخبركم عبر التليفون بأن الشخص المطلوب قتله تحرك إلى مكان محدد ؟

جـ : مرتضى باشا المراغى.

س : وأين كان جراج العربة السوداء ؟

جـ : فى السراى الملكية .

س : هذا يعنى أن العربة السوداء كانت فى « عابدين » وانتم فى « الجيزة » ؟

جـ : « عبد الله صادق » كان مسئولاً عن إحضارها وتموينها بالذخيرة والسلاح .

س : هل كانت تحمل أرقاماً ؟

جـ : لا أتذكر وأعتقد أنها لو كانت تحمل أرقاماً فهى أرقام مزيفة .

س : هل تتذكر ماركة العربة السوداء ؟

جـ : لا .

س : ما مميزاتها ؟

جـ : لا يؤثر فيها الرصاص .. كانت بها منصة لضرب النار .

س : من هم ـ بالتحديد ـ ضباط الحرس الحديدى ؟

جـ : حسن فهمى عبد المجيد ورتبته « يوزباشى » .. سيد جاد « يوزباشى » ، عبد الرؤوف نور الدين « يوزباشى » ، يوسف حبيب « بكباشى » .. مصطفى كمال صدقى «يوزباشى » ، وخالد فوزى « يوزباشى » ، وعبد الله صادق « ضابط شرطة سابق » .

س : لماذا كان الملك يريد قتل النحاس باشا ؟

جـ : لأن النحاس تبرأ من الجيش الانجليزى .. ونجح فى الانتخابات .. وبدأ يهاجم الملك .

س : هل طلب منكم اغتيال آخرين من حزب (الوفد) غير النحاس باشا ؟

جـ : طلب منا ضرب النائب الوفدى « رفيق الطرزى » بجوار المطار القديم .. ولم أكن موجوداً فى هذا العملية .

س : ولماذا أطلق الرصاص على « رفيق الطرزى » ؟

جـ : لأنه هدد الملك بالقتل .

س : كيف تم هذا التهديد ؟

جـ : صرح به أمام أشخاص قاموا بإبلاغ السراى به .

س : من قتل عبد القادر طـه ؟

جـ : لا أعرف .. هناك من يقول إنه الحرس الحديدى .. لكنى لا أعرف شيئاً عن هذه القضية .

س : هل تم اغتيال « عبد القادر طـه » قبل التحاقك بالحرس الحديدى ؟

جـ : لا .. بل حدث ذلك فى أواخر أيام الحرس الحديدى .. ولا أعرف عن هذا الرجل شيئاً سوى أنه حاول أن يظهر .

س : ما المقصود بأنه حاول أن يظهر ؟

جـ : ذات مرة .. أحضر لهم « عبد الله صادق » شخصاً اسمه « على حسنين » يعمل

«ميكانيكى » فى المراكب .. وأبلغهم بأن هناك شخصاً اسمه « عبد القادر طـه » يريد قتل الملك .. فقرروا قتله .

س : ومن قام بالقتل ؟

جـ : لا أعرف فقد كان خالد فوزى وحسن فهمى عبد المجيد بعيدين عن باقى مجموعة الحرس الحديدى فى ذلك الوقت .

س : متى علمت أن هناك تنظيماً اسمه الضباط الأحرار فى الجيش ؟

جـ : فى حوالى سنة ١٩٤٢ .

س : كيف عرفت بوجود هذا التنظيم ؟

جـ : جاءنى « عبد الفتاح أبو الفضل » وطلب منى الحضور إلى حارة « البرمونى » نمرة «٢» فى السيدة زينب .. وعندما ذهبت إليه وجدته جالساً مع ستة عشر ضابطاً أعرف أغلبهم .. يشرح لهم كلاماً فى السياسة .. وفجأة دخل علينا الصاغ رشاد مهنا ـ الوصى على العرش بعد ذلك ـ وهو يرتدى ملابسه الرسمية وكان ضابطاً فى قيادة القاهرة .. وقال « بكره الصبح حتروحوا فى داهية وحتدخلوا السجن لأن ده خيانة للملك » .. فنهضت من مكانى وأخرجت مسدسى بسرعة ووضعته ملاصقاً لوجهه.. وقلت له : اكتب على ورقة أننا اجتمعنا هنا بأمرك .. وإلا أطلقت عليك الرصاص وألقيت بجثتك فى النيل .. فإذا برشاد مهنا يغير من لهجته ويقول انه يمزح معنا ولم يكن يقصد شراً .. وأعلن أنه ثورى أكثر منا .. وانقلب الموقف وأصبح «رشاد مهنا » معنا .

س : هذا يعنى أنك انضممت لتنظيم فى الجيش اسمه الضباط الأحرار والذى جندك له «عبد الفتاح أبو الفضل » الذى أصبح نائباً لرئيس المخابرات « صلاح نصر » بعد ذلك ؟

جـ : نعـــم .

س : ألم تعرف من كان قائد هذا التنظيم ؟

جـ : لا .

س : ما مصير هذا التنظيم ؟

جـ : الصول « جمال كمال » وشى بهم وتم اعتقالهم جميعاً فى الثانوية العسكرية .

س : لماذا لم يقبض عليك معهم ؟

جـ : طلب منى « عبد الفتاح أبو الفضل » أن أختفى لفترة فذهبت إلى الاسكندرية للاشتراك فى لعبة الخماسى العسكرى .. وكانت تدخل مصر لأول مرة .. فذهبت للتدريب مع المدرب الفرنسى .

س : من من أعضاء التنظيم الذين قابلتهم عند « عبد الفتاح أبو الفضل » فى السيدة زينب انضم إلى الحرس الحديدى ؟

جـ : مصطفى كمال صدقى وعبد الرؤوف نور الدين .

س : هل تكررت محاولة تجنيدك لتنظيم الضباط الأحرار ؟

جـ : حاول الملازم « جمال منصور » ضمى إليهم مرة أخرى .. وعرفت أنهم يتقابلون فى الزيتون وأنهم اشتروا آلة كاتبة من أجل المنشورات الخاصة بهم .

س : ولماذا لم تنضم إليهم ؟

جـ : لأننى كنت منهمكاً فى تنظيم الطريقة الصوفية العسكرية التى وافق الملك على إنشائها مقابل انضمامى للحرس الحديدى .

س : هل عرفت من « جمال منصور » من قائد تنظيم الضباط الأحرار ؟

جـ : نعم .. عرفت أنه « جمال عبد الناصر » .

س : ما ظروف مقابلتك للصاغ « خالد محيى الدين » ؟

جـ : كنت فى التدريب الحربى وجاء «خالد محيى الدين » إليه معى .. فشاهدنى مع «جمال منصور » .. فسألنى ماذا أفعل أنا و«جمال منصور » ؟! فشرحت له الدور الذى أقوم به فى الحرس الحديدى .. وذكرت له واقعة « محمد نجيب » وكيف أنقذته من القتل .

س : هل قلت لخالد محيى الدين انك من الحرس الحديدى (؟!) .

جـ : كل أفراد الجيش كانوا يعرفون أننى من الحرس الحديدى .

س : بم علق « خالد محيى الدين » على كلامك ؟

جـ : يومها طلب منى « خالد » ماكينة حلاقة .. وقال لى : حنطلبك يا سيد .

س : هل حاول آخرون جذبك للضباط الأحرار ؟
جـ : « خالد فوزى » انضم إليهم وأبلغنى بأنه حيطلبنى .
س : هل كنت تعرف « ساعة الصفر » لحركة الضباط الأحرار ؟
جـ : نعـــم .
س : ولماذا لم تبلغ عنهم ؟
جـ : لا يمكن أن أبلغ عن زملائىَ الذين أعطونى سرهم .
س : كيف أبلغت الشهيد « حسن البنا » بمحاولة اغتياله ؟
جـ : عن طريق « زبيدة » وكانت احدى الأخوات المسلمات وعن طريقى أنا شخصياً .
س : كيف تم اتصالك بالشهيد « حسن البنا » ؟
جـ : عن طريق التليفون وذهبت لمقابلته شخصياً وأبلغته بما يدبر له .
س : ما ظروف انضمام « أنور السادات » إلى الحرس الحديدى ؟
جـ : كانت هناك أمور تحدث لا أعلم عنها شيئاً .. فعندما كنت أتغيب لفترة عن الحرس الحديدى ثم أعود .. أجد أسماء حسن الكفافى وأنور السادات وغيرهما .
س : هل كان « أنور السادات » عضواً فى الحرس الحديدى ؟
جـ : نعم نعم كان على صلة بناهد رشاد وزوجها .
س : ما ظروف محاولتك اغتيال الملك « فاروق » ؟
جـ : لم تكن محاولة اغتيال بل كانت تمثيلية لارهابه فقط .. وكانت أسبابها أنه أصيب بحالة كره لمصر والمصريين والحرس الحديدى ، وزاد الطين بلة أنه قبل رتبة « جنرال » فى الجيش الانجليزى .. أما حادثة إرهابه فوقعت حين كان يقيم فى سراى القبة .. صعدنا إلى سطح بيت مجاور يكشف السراى تماماً .. وكنا نعرف مواعيد خروجه للشرفة ليتناول الشاى .. فقام « حسن فهمى عبد المجيد » بإطلاق الرصاص عليه .. فى إحدى هذه المرات .
س : هل اشتركت فى إطلاق النار عليه ؟
جـ : لا .. لم يحدث « حسن فهمى عبد المجيد » هو الذى تولى عملية الإطلاق .
س : هل كان المقصود إصابة الملك بجروح فقط ؟

جـ : لا .. كان المقصود إرهابه فقط .
س : ماذا فعل الملك بعد اطلاق النار عليه ؟
جـ : جرى مفزوعاً من البلكونة .
س : ما نوع العلاقة بين الحرس الحديدى وقلم البوليس السياسى ؟
جـ : علاقة فى منتهى السوء .. لأنهم لم يكونوا يريدون لأى مجموعة أخرى أن تسيطر .
س : هل كان البوليس يتعرض للسيارة السوداء ؟
جـ : لا .. لأن « مرتضى المراغى » بصفته وزيراً للداخلية كان يصدر أوامر صريحة بعدم التعرض لنا .. وإذا حدثت لنا أى مشكلة كان يتدخل بنفسه لحلها .
س : هل هذا يعنى أن « مرتضى باشا » كان ضالعاً مع الحرس الحديدى ؟
جـ : تماماً .
س : كيف كان يمكنكم تجميع المعلومات ؟
جـ : عن طريق الحرس الحديدى .
س : ماذا تعنى بالحرس الحديدى ؟
جـ : مجموعة من السيدات لهن علاقة وثيقة بالحرس الحديدى .. وتشرف عليهن « ناهد هانم رشاد » .. وكان عددهم حوالى خمس سيدات .
س : ما أهم دور لعبه الحرس الحديدى معكم ؟
جـ : بعد انقلاب سنة ١٩٥٢ حاول الضباط الأحرار الإيقاع بى بقولهم إن « مصطفى صدقى » و«يوسف حبيب » قد اعترفا على بكل شىء .. وعن طريق اتصالى بأحد أفراد الحرس الحديدى تأكدت أنها محاولة للتضليل .. رغم أن الجرائد نشرت أن أعضاء الحرس الحديدى اعترفوا .. فلم أقع ومن معى فى هذا « الفخ » .
س : هل دخلت « ناهد رشاد » والدكتور « يوسف رشاد » المعتقل معكم ؟
جـ : بعد فترة من اعتقالنا دخل الدكتور « يوسف رشاد » .. أما « ناهد رشاد » فلم تدخل .. وأعتقد أن علاقتها بأنور السادات كانت السبب فى ذلك .
س : قلت إنه كانت هناك قصة حب بين « مصطفى صدقى » واحدى سيدات الحرس الحديدى .. من كانت هذه السيدة ؟

جـ: لا أرغب فى ذكر اسمها .

س: لكن « مصطفى صدقى » قال : ان السيدة « ناهد رشاد » كانت عشيقته ؟

جـ: لا تعليق لى .. وأولاد السيدة « ناهد رشاد » مازالوا موجودين فى مصر حتى الآن .. منهم دكتور .. وابنة اسمها « ليلى » وقد تزوجت ولديها أولاد .

س: ذكرت أنك رأيت سيدة عظيمة فى طريقها إلى إحدى « الفيلات » بالزمالك بشارع أحمد حشمت لمقابلة رجل أجنبى .. من السيدة ومن الرجل ؟

جـ: الرجل لم يكن أجنبياً .. بل كانت ضالعاً مع الانجليز تماماً وهو « وحيد يسرى باشا » ابن الأميرة « شويكار » .. أما السيدة فكانت الملكة السابقة « فريدة » مطلقة الملك «فاروق» .

س: لماذا لم تقتلها ؟

جـ: بعد التأكد من خيانتها للملك عن طريق مراقبتها .. حاولت أن أقتحم « الفيلا » لقتلها .. لكن باقى الضباط منعونى .. ومن شدة غيظى ضربت بقبضتى البندقية بعنف فخرجت منها رصاصة اصطدمت بسقف العربة السوداء التى كنا نستخدمها فى مراقبتها .

س: وهل كان الملك « فاروق » موافقاً على قتل الملكة « فريدة » ؟

جـ: نعم .. والدليل أنه تصور ـ من خلال وشاية ـ أننى رفضت قتلها فغضب منى لدرجة كبيرة .. إلى أن قابلته وأفهمته الحقيقة .

س: ما علاقتك بالحركة الشيوعية المصرية ؟

جـ: كان « يوسف منصور صديق » يدرس لى التكتيك والأسلحة فى الكلية الحربية . وحاول ضمى إلى تنظيمهم .

س: وهل انضممت إلى تنظيم الشيوعين فى الجيش المصرى ؟

جـ: لا.. لكن حاول « يوسف صديق » أن يضمنى إلى التنظيم لكنى رفضت .

س: هل حدث هذا أثناء وجودك فى الحرس الحديدى ؟

جـ: نعـــم .

س: كيف بدأ الصدام بينك وبين الشيوعيين ؟

جـ : عندما وجدت « يوسف صديق » موافقاً على أن تأخذ اسرائيل طور سيناء .. وأبلغت « خالد فوزى » فقال انهم يمثلون خطراً وإذا انتشروا فى الجيش فسوف يدمرونه .. ونقلنا الموضوع كله للدكتور « يوسف رشاد » .. دون ذكر اسم « يوسف صديق » حتى أحصل له على الأمان من جانب الملك .

س : وكيف حصلت على الأمان من الملك ؟

جـ : فى بيت « يوسف رشاد » بشارع مصر والسودان ـ حصلت عليه ـ من الملك فاروق شخصياً .. لذلك لم يتعرض « يوسف صديق » الا للنقل إلى السودان .

س : هل كان الملك « فاروق » يتردد على منزل الدكتور « يوسف رشاد » بصورة مستمرة ؟

جـ : نعم .. وكان يذهب بمفرده .. لكنه لم يكن يجتمع بنا .

س : هل قيامك بالتصدى للشيوعيين كان مبادرة شخصية منك ؟

جـ : لا . فالدكتور « يوسف رشاد » كان يمدنى و«خالد فوزى » بالسلاح والمال .

س : ما علاقة الحرس الحديدى بالفدائيين المصريين فى منطقة القناة ؟

جـ : لم ينضم للفدائيين من الحرس الحديدى إلا أنا فقط .

س : ما الخبر الذى أبلغك « عبد الله صادق » بأنه سيذاع فى الراديو ؟

جـ : ترقيتى إلى رتبة « يوزباشى » من الملك « فاروق » بناء على طلب اللواء « محمد نجيب» لدورى البطولى فى المحافظة على المستعمرة «نيتساليم » .

وكان نص التعليق مع خبر الترقية : « أنعم الملك برتبة اليوزباشى على الملازم أول سيد جاد عبد الله سالم نظراً لما قام به من أعمال بطولية وتضحية منقطعة النظير فى ميادين القتال » .

س : ما سبب قيام الحرس الحديدى فى مصر ؟

جـ : تطهير البلد من الخونة .

س : هل استغل الدكتور « يوسف رشاد » حادث تصادم سيارة الملك بالقرب من «القصاصين » . فى إقناع الملك بقيام الحرس الحديدى ؟

جـ : ربما .. لكننى لم أكن موجوداً معهما وقتها !

س : ألم تحاول أن تعرف منهما ـ وبالذات ـ الدكتور « يوسف رشاد » سبب وجود الحرس الحديدى ؟

جـ: لا ..
س: لماذا؟
جـ: هذا تيار موجود والانضمام إليه كان برغبة الشخص نفسه .. فلماذا السؤال ؟!
س: هل كان الملك « فاروق » يعرف أن اسم تنظيمكم هو الحرس الحديدى ؟
جـ: لا .
س: ما أسباب انقسام الحرس الحديدى على نفسه ؟
جـ: كان الدكتور « يوسف رشاد » يريد أن نكون كالجيش ـ تماماً ـ نطيع الأوامر فقط دون مناقشة ، وانضم إليه « يوسف حبيب » فى ذلك .. بينما طالبت أنا بتنفيذ أسلوب المحاكمة قبل القتل ، وانضم لهذا الرأى « عبد الرؤوف نور الدين » و« خالد فوزى » و« مصطفى كمال » .
س: هل كان الملك يدفع لكم نقوداً بعد كل عملية قتل ؟
جـ: ليست نقوداً بل هدايا !
س: على سبيل المثال ؟
جـ: أحياناً سيارة .. ونقوداً فى أحيان قليلة .
س: ما حدود المبالغ التى كانت تدفع ؟
جـ: نحو ألف جنيه .
س: هل كانت توزع على جميع ضباط الحرس الحديدى ؟
جـ: لا .. كانت تقسم بين الأشخاص الذين كلفوا بالعملية فقط .. لكن جميع عمليات مقاومة الشيوعية كنا نتقاضى عنها نقوداً لأنها كانت تكلف كثيراً من عربات وسلاح .. كما أننا كنا نضطر للظهور فى مستويات معيشية لاتساعدنا عليها دخولنا .
س: « مرتضى باشا المراغى » زعم أن الحرس الحديدى هو الذى قتل « أمين باشا عثمان » .. ما تعليقك ؟
جـ: الذى قتل « أمين عثمان » هو « حسين توفيق » .. ولا يمكن أن يكون من الحرس الحديدى لأنه شخص مدنى .. ولم يكن يقبل فى الحرس الحديدى سوى ضباط الجيش فقط .

س : ما دور الحرس الحديدى ـ إذن ـ فى موضوع اغتيال « أمين عثمان » ؟

جـ : كلفنا من الدكتور « يوسف رشاد » بإنقاذ « حسين توفيق » .. فقام « عبد الرءوف نور الدين » بتهريبه من محكمة باب الخلق بعد أن ألبسه الجاكيت العسكرى الخاص به .. ثم تم تهريبه ـ عن طريقنا ـ إلى سوريا .

س : قلت إن الملك « فاروق » برىء من حريق القاهرة .. فما حيثيات هذه البراءة ؟

جـ : لقد حضرت الحريق من أول لحظة حتى آخر لحظة وكان دورى الإنقاذ ـ فقط ـ وليس إشعال الحريق .. كما أن الملك لم تكن له مصلحة .. إطلاقاً فى حدوث الحريق لأن فى ذلك خسارة له وليس مكسباً ..

س : لكن فؤاد باشا سراج الدين قال إن الذين أحرقوا القاهرة هم الذين استفادوا من هذا الحريق .. ألم يستفد الملك فاروق من الحريق بالتخلص من حكومة « الوفد » ؟

جـ : أمن أجل التخلص من وزارة يحرق الملك العاصمة ؟! لقد كان يمكنه أن يحل وزارة «الوفد » كما فعل من قبل .

س : إذن .. من حرق القاهرة ؟

جـ : الانجليز .

س : لمـــاذا ؟

جـ : لضرب حركة الفدائيين فى منطقة قنال السويس .. وللتخلص من الملك « فاروق » .

س : لكن أحد قيادات الإخوان المسلمين اتهم بعض الضباط الأحرار بحرق القاهرة ؟

جـ : الضباط الأحرار وطنيون .. ولا يمكن أن يقوموا بعمل على هذا المستوى .

س : إذا كان الملك « فاروق » وطنياً فما سر كراهيته لحزب « الوفد » ؟

جـ : الملك كان يتصور أن « النحاس باشا » لن يقبل تولى الحكم فى حادث ٤ فبراير .. وعندما قبل « النحاس » أصبح الملك يكرهه بشكل لا يطاق .

س : لكن قبل ذلك كان يقبل حكومة « الوفد » رغم حصولها على الأغلبية ؟

جـ : كانت هناك بينهم أخطاء متبادلة .. وبعد حادى ٤ فبراير انقلب الملك تماماً ضد «النحاس باشا » .

س : بعد الذى حدث لك فى حريق القاهرة .. ماذا أعطاك الملك ؟

جـ : أعطانى خمسة آلاف جنيه .

س : لماذا ؟

جـ : بسبب موقفى البطولى .. واحتراق ملابسى وضياع نقودى .

س : أليس غريباً أن يمنحك الملك « فاروق » خمسة آلاف جنيه بعد حريق القاهرة وفى الوقت نفسه لا يعطيك إلا خمسمائة جنيه مساهمة فى حرب الفدائيين بمنطقة القنال؟

جـ : هذا ما حدث .

س : ما علاقة « فؤاد باشا سراج الدين » بالفدائيين ؟

جـ : كان يساعدهم من جيبه الخاص .. ويزلل لهم كل العقبات ، وهو رجل وطنى .. ولقد صارحته بذلك عندما التقينا فى معتقل الثانوية العسكرية .

س : لماذا لم تنتشر محاولة اغتيال الملك التى ذكرتها فى جزيرة « فيشر » ؟

جـ : من كان سيتكلم ؟! الملك الذى كان منفرداً مع سيدة مصرية من عائلة معروفة ؟! أم الباشا الذى حاول قتل الملك ؟! أم نحن الذين كنا نتستر على الملك وهو فى خلوته مع امرأة ؟! .

س : ما ظروف انضمام « حسن التهامى » للحرس الحديدى ؟

جـ : « حسن التهامى » كان بطلاً فى ضرب « الطبنجة » .. وكان « عبد الله صادق » سبباً فى انضمامه إلينا .

س : هل انتهت علاقتك بيوسف صديق بعد سفره إلى السودان ؟

جـ : نعم .. ولم نلتق أبداً حتى وفاته .

س : هل كانت علاقتك قوية بصلاح سالم أثناء وجودك فى حرب فلسطين ؟

جـ : « صلاح سالم » ـ رحمه الله ـ كان مغروراً للغاية .. كان يتخيل نفسه « نابليون » .. وينظر للآخرين ـ دائماً ـ على أنهم فى مرتبة أقل منه .. لذلك لم يحدث بيننا أى تقارب رغم تقابلنا فى نادى الضباط أكثر من مرة .

س : هل كانت للحرس الحديدى علاقة بكمال الدين حسين ؟

جـ : لا .. كانت له علاقة قوية بمصطفى صدقى .

س : ما نوعية علاقتك بجمال عبد الناصر ؟

جـ: عندما أرسلنى « جمال عبد الناصر » للتصدى لبعض القوات الاسرائيلية فى فلسطين.. وجدت أن هذه القوات تفوقنى فى العدد والسلاح لدرجة كبيرة .. فحضر « جمال عبد الناصر » وتمكن من إنقاذى من الأسر أو القتل .

س: هل كان « جمال عبد الناصر » مقاتلاً شجاعاً ؟

جـ: كان « جمال » يحمل وسام نجمة فلسطين .. وهو لا يمنح إلا لمن قام بدور بارز فى المعارك .

س: ما مدى علاقتك بأنور السادات ؟

جـ: كرهته منذ اللحظة الأولى التى قابلته فيها فى محكمة باب الخلق .. ولم أشعر بالراحة تجاهه أبداً .. لأنه كان مملوءاً مكراً وخبثاً .. وله حوادث نسائية مكشوفة مع امرأة ألمانية مما جعلنا نبتعد عنه .

س: ما أبرز إنجازاتك فى الحرس الحديدى ؟

جـ: منع القتل عن طريق النسف .. وقد منعت نسف قطار « النحاس باشا » .

س: لمـــاذا ؟

جـ: القتل بالنسف أسلوب أعمى لا يفرق بين المطلوب قتله والأبرياء .. لأن المفروض أن يعرف لماذا يقتل المقتول .. ويعرف السبب فى قيام الحرس الحديدى بقتله ليصبح عظة وعبرة لغيره .

س: هل قمتم فى الحرس الحديدى بعمليات سرقة ؟

جـ: لا .

س: ما التهم التى وجهت إليك بعد اعتقالك فى الثانوية العسكرية ؟

جـ: كان يتولى التحقيق معى « ابراهيم صالح » وكانت هناك قائمة تضم حوالى سبع عشرة قضية بالإضافة إلى تهمة الشروع فى قتل « النحاس باشا » .

س: ماذا جرى لضباط الحرس الحديدى بعد انقلاب يوليو ١٩٥٢ ؟

جـ: خرجت من المعتقل بعد شهرين من الانقلاب لعدم وجود أدلة على عمليات القتل .. وعملت بالمحاماة لكننى لم أحقق فيها نجاحاً كبيراً .. أما «يوسف حبيب» فقد عمل فى الاتحادات الرياضية وحصل على مرتب كبير لأن أغلب الضباط الأحرار

كانوا دفعته وأصدقاءه .. و«كمال صدقى » عذب فترة فى حياته بسبب علاقته السابقة مع « ناهد رشاد » مما جعل كبار ضباط الجيش لا يحبونه .. لكنه عاش حياة معقولة إلى أن مات .. « وعبد الرؤوف نور الدين » قتل فى حرب فلسطين أما « خالد فوزى » فقد انضم للضباط الاحرار وعمل معهم و«حسن فهمى عبد المجيد » وصل إلى مرتبة السفير .

س : ما الأسرار التى لم يكشف عنها النقاب حتى الآن من العهد الملكى ؟

جـ : « بولى » الشهير كان أخاً غير شقيق للملك « فاروق » من والده الملك «فؤاد» من عشيقة إيطالية .

س : وغير ذلك ؟

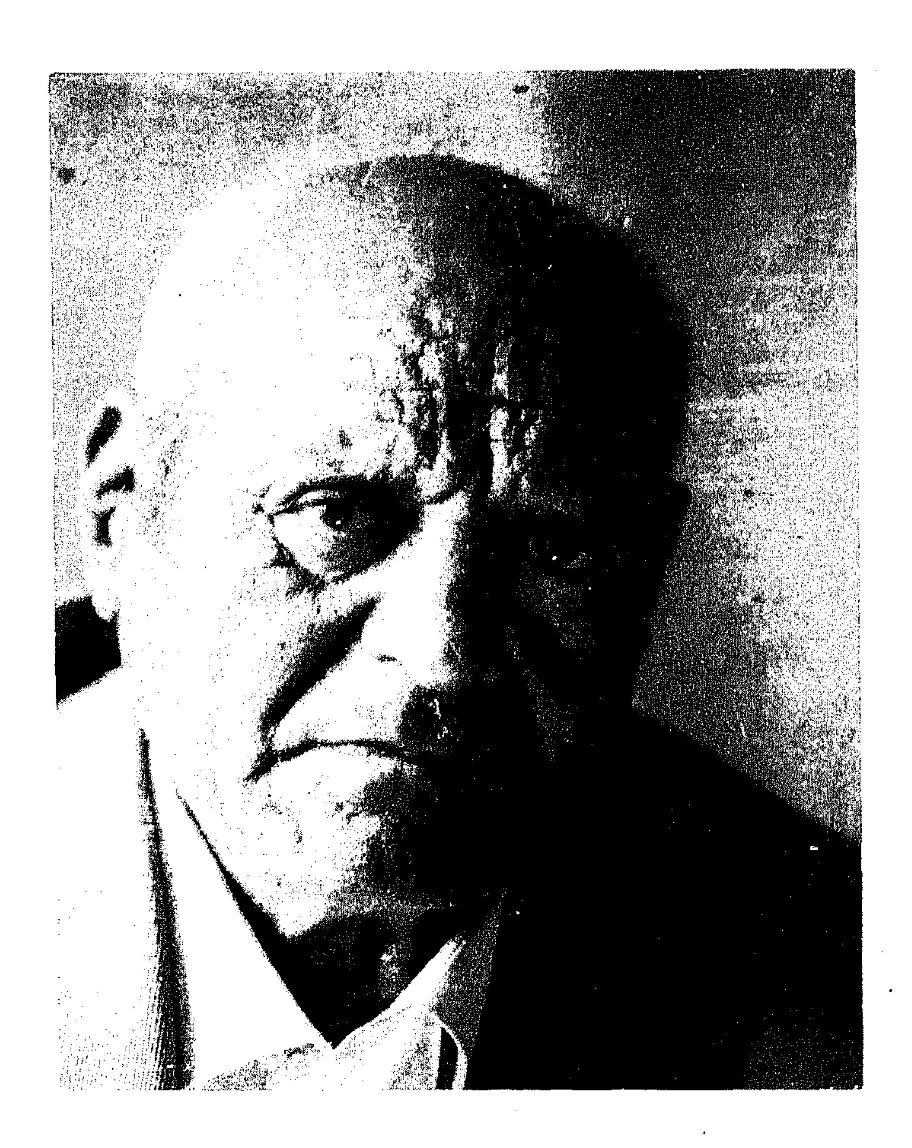
جـ : زواج الملك « فاروق » ـ أكثر من مرة من مصريات بعقد عرفى .. وإنجابه عدد من البنات مازلن يعشن فى مصر حتى الآن .

س : ما ظروف تلك الزيجات ؟

جـ : بعد أن أنجب الملك ثلاث بنات خشى على عرشه لأن ولاية العهد انتقلت للأمير «محمد على» .. فنصحه بعض المقربين منه بأن يتزوج زواجاً عرفياً سراً : فإذا أنجب بنتاً طلق زوجته وأعطاها مبالغ كبيرة ومركزاً مرموقاً لأسرتها .. وإذا أنجب ولداً يعلن هذا الزواج على الملأ .. لأنه لم يكن معقولاً ولا مقبول أن يظل الملك فى حالة زواج وطلاق علنى مستمرة من أجل إنجاب ولى العرش .

س : هل لديك أقوال أخرى ؟

جـ : لقد عشت أربعين سنة بعد هذه الأحداث التى خاضها الحرس الحديدى .. حياة لم تكن سهلة .. كما أن عملى ـ كمحام ـ جعلنى أنهمك فى مئات القضايا والمشاكل .. مما جعل ذاكرتى تفقد بعض قدرتها على استرجاع جميع الأحداث بشكل دقيق وواضح .. وهذه آخر محاولة لى لكى أتذكر قبل أن أفقد قدرتى تماماً ـ على التذكر ـ لأن الأشياء المصحوبة بالألم هى ـ فقط ـ التى لاتنسى .. بينما عشرات المغامرات العادية تتلاشى كلها فى طى النسيان .



المؤلف : الأستاذ سيد جاد

الفهـرس

رقم الإيداع : ٨٨٣٤ / ٩٢
I.S.B.N : 977 - 270 - 034 - 4

عربية للطباعة والنشر
١٠٠٧ شارع السلام ـ أرض اللواء المهندسين
ت: ٣٠٣٦٠٩٨

الحرس الحديدي

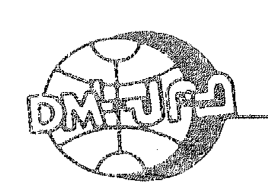
عالم من الحكايات العجيبة والمعلومات المدهشة والعلاقات المريبة والأسرار الغامضة يحكيها مؤلف هذا الكتاب . .

كان المؤلف من أشهر أعضاء « الحرس الحديدى » الذى كوّنه الملك فاروق ليتولى الفتك بأعدائه وليواجه به التنظيمات السرية المعادية للنظام الملكى .

وها هو يرفع الستار ليكشف الأسرار التى ظلت مجهولة التفاصيل حتى الآن . . ويحكى لنا لأول مرة أسرار اشتراك أنور السادات فى الحرس الحديدى . . وكيف كان السادات يلعب على الحبلين باعتباره عضواً فى الحرس الحديدى وعضواً فى تنظيم الضباط الأحرار فى الوقت نفسه . . وكيف أبلغ السادات « ناهد رشاد » وصيفة الملك فاروق بانقلاب يوليو ١٩٥٢ قبل وقوعه . . إلى غير ذلك من الأسرار الخفية المذهلة لعديد من أوجه الفساد التى وصم بها نظام الحكم فى مصر قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ .

« الناشر »

الدار المصرية اللبنانية طباعة • نشر • توزيع
١٦ شارع عبد الخالق ثروت - تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ فاكس: ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً: دار شادو - ص.ب: ٢٠٢٢ - القاهرة



AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION
16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX: 3909618 CABLE DARSHADO

Thanks to
assayyad@maktoob.com

To: www.al-mostafa.com